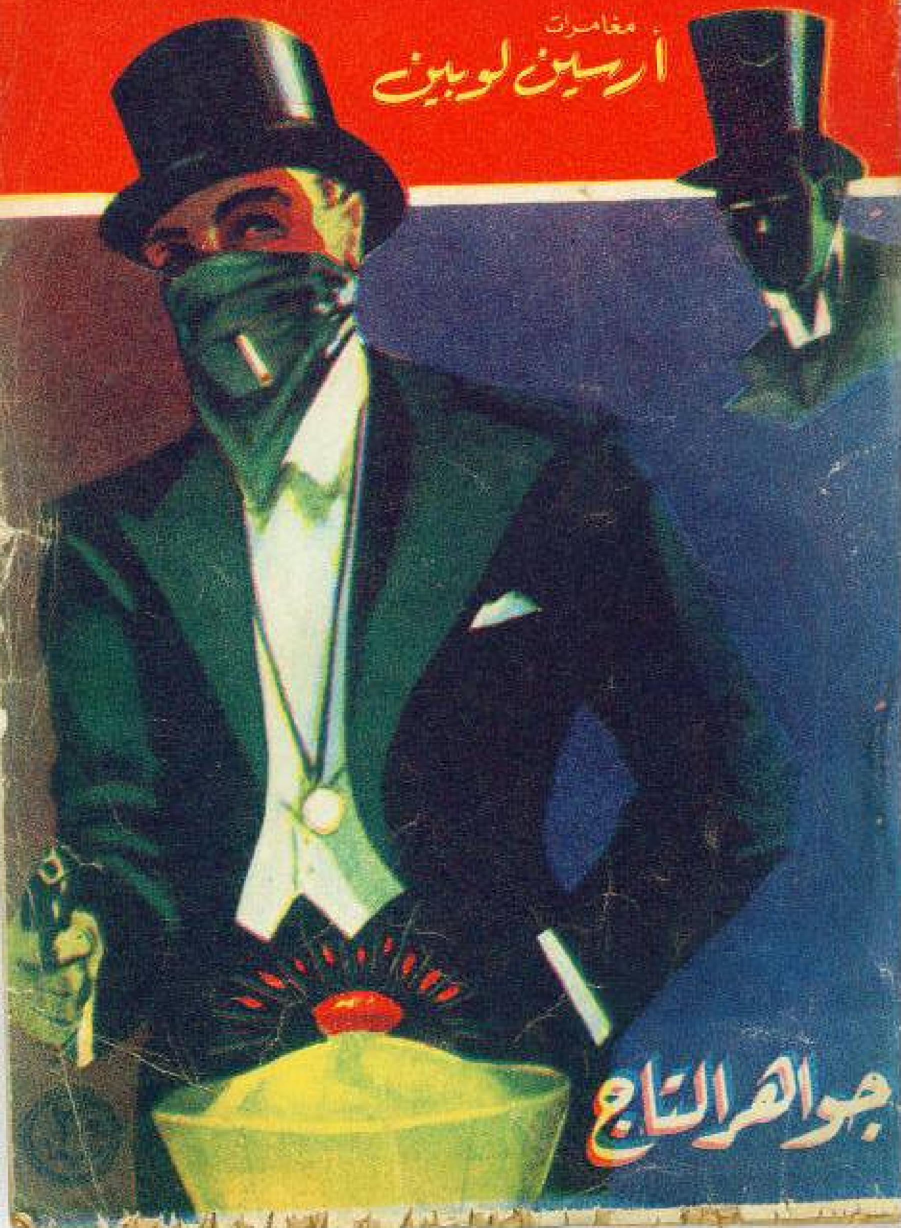

مغامرات
أرسين لوبين
جواهر التاج

الفصل الاول

توبة مستحيلة

كان الحادث فجائيا أشبه بانحدار كتلة ضخمة من الثلج من قمة جبل مرتفع . أو إنهيار سد ضخم .. وتدفق المياه على أرض وادعة مطمئنة

وقد بذل أرسين لوبين قصارى جهده ليسيطر على أعصابه. ويقاوم الشعور الغريزى الذى يحفزه للعمل .. ولكن بغير جدوى .

كان قد جاء الى (النمسا) للاستراحة من (عناء الأعمال). وقضاء بضعة أيام كما يقضى السائحون وأصحاب الملايين أياما فى الراحة والاستجمام والاستمتاع بالحياة الهادئة التى يستمتع بها الشرفاء وقد قطع على نفسه عهداً بالايتورط فى مأزق أو يجازف فى إحدى المغامرات طيلة الأيام التى حزم أمره على أن يستريح فى خلالها . غير أن المنظر الذى وقع عليه بصره وهو يسير على جسر (رينوبج) فى (اينزبروك) كان من المناظر المحركة للفضول .. المثيرة الحماسة الهاجعة .

كان لوبين يسير متأبطا ساعدى باتريشيا هولم وهوبى بريجز . حين رأى المعركة تبدأ أمامه بسرعة البرق .. كما لو كانت قنبلة سقطت من السماء فجأة وتفجرت تحت قدميه .

جمد لوبين وزميلاه فى مكانهم ؛ وراحوا يرقبون تلك المعركة التى بدأت بغتة وحمى وطيسها فى سكون دون أن تفلت من أفوا أحد المتعاركين كلمة أو صوت .

وكان مدار هذه المعركة رجل قصير القامة رآه لوبين وزميلا

حين إجتاز الجسر بالقرب منهم وفى يده صندوق صغير . ولكنه لم يكد يصل إلى الناحية الأخرى من الجسر . وهى التى تؤدى إلى شارع الأرشيدوق أوتو .. حتى برز من ظلام الليل ثلاثة أشخاص فانقضوا عليه وحصروه لصق حاجز الجسر . وانهالوا عليه ضربا ولكما كأنهم يريدون تهشيم جسده . والقضاء عليه بأسرع ما يمكن .

رأى هذا المنظر . فصفر بشفتيه صفيراً خافتا .

أما هوبى بريجز فانه سحب يده من ساعد لوبين وجمع قبضته .

والتقت عينا هوبى بعينى لوبين .

قال الأول وهو يزمجر :

— لا أعلم هل فى إستطاعتنا أن نقنع بالتفرج .

فاجاب لوبين :

ـ وذلك مالا أعلمه أيضاً .

وهنا شعر لوبين باصابع باتريشيا تضغط على ساعده وسمع الفتاة تهتف :

ـ اصغ إلى . ألم تعد بأن تكون حكيما رزينـاً .. وبان تتجنب المغامرات ؟

فأجاب وهو يتقدم :

ـ طبعاً .. طبعاً .. سأتجنب كل مغامرة .. فقط أريد أن أشهد المعركة عن كثب .. وربما إستطعت أن أصلح بينهم بالحسنى .

والواقع أنه لم يكن يضمر شراً لاحد فى ذلك البلد فتقدم إلى

الأمام .. وكان هوبى بريجز قد سبقه .

وقد كان من المستحيل أن يميز الانسان بين المتعاركين فى تلك المعمعة الصامتة العجيبة .

مد لوبين يده كيفما اتفق . واستقرت أصابعه فوق عنق غليظ . فأمسك به .. وأجتذبه بقوة .. ونظر فى وجه صاحبه .. ومن سوء الحظ انه كان أبشع الوجوه التى وقع عليها بصره فرأى من العدل والانصاف أن يهوى عليه بقبضة يده .

وكانت هذه اللكمة .. هى آخر عهد لوبين بالحياة الهادئة السعيدة فى بلاد النمسا . لأنها لم تحطم أنف الرجل فقط . بل حطمت كذلك جميع آمال لوبين فى الراحة والسكينة . وما حزم عليه رايه من أمر (التوبة المؤقتة) والهدنة مع رجال البوليس .

***

يقول علماء النفس الذين لاتخفى عليهم خافية من غرائز البشر أن هناك محفزات يكون لها رد فعل أوتوماتيكى . فالسكير مثلا . إذا فتحت أمامه زجاجة ويسكى سال لعابه . والراقصة إذا سمعت أنغام الموسيقى تحركت قدماها .

كذلك كان الحال مع أرسين لوبين ، فانه لزم جانب الهدوء والسكينة ثلاثة أسابيع ، ولكنه لم يكد يرى تلك المعركة الفجائية حتى تحركت فيه غريزة النضال .

«٥»

سقط الرجل الذى لكمه لوبين ، ولكنه نهض بسرعة ، وتحفز

للوثوب ، فعالجه لوبين بلكمة أخرى من النوع الذى يضع حداً لمباريات الملاكمة ، فانهار الرجل على الأرض فاقد الرشد .

وحانت من لوبين التفاتة ، فرأى هوبى مشتبكا مع رجل آخر من الرجال الثلاثة . ولاحظ فى الحال أن صديقه ليس بحاجة إلى مساعدة .

اما الرجل الثالث ، فكان جاثما فوق صدر الرجل القصير القامة وقد اطبق على عنقه بأصابع إحدى يديه ، وجعل يفتش جيوبه بيده الأخرى .

شعر الرجل وهو يقوم بمهمة التفتيش باصابع من فولاذ تحيط بعنقه وتجتذبه ، ثم بلكمة تقذف به بعيداً .

نهض واقفا وهو يترنح ، ومد يده إلى جيبه ليخرج مسدسه فوثب عليه لوبين كالفهد ، واحاطه بساعديه ، ودفعه نحو حاجز الجسر ثم أمسك بساقيه وهو يقول :

ـ يوم غد ، هو يوم الأحد ايها الزميل ، ومن المفيد لصحتك ان تغتسل مرة فى الأسبوع على الأقل .

وقذف به من فوق حاجز الجسر ، فهوى الرجل فى النهر واحدث سقوطه فى الماء ضجة اضطرب لها سكون الليل .

وتحول لوبين الى هوبى فرآه قد تخلص من غريمه بضربة قاضية ولم يبق من ابطال تلك المعركة سوى الرجل القصير القامة . وكان جالسا بجانب حاجز الجسر ورأسه بين يديه .

وهكذا انتهت المعركة .. وقد شهدت باتريشيا هولم جميع ادوارها

فى سكون .. لأنها كانت واثقة من النهاية.

قال لوبين :

— لا أظن ان الحمام البارد يؤذى صحة هؤلاء السادة.

ونظر الى هوبى .

ونظر هوبى الى لوبين .

ثم انحنى الاثنان فوق الرجل الذى صرعه لوبين . فأمسك احدهما بيديه . وأمسك الآخر بقدميه . وقذفا به من حاجز الجسر .. فسقط الرجل فى الماء وأحدث مثل الضجة التى احدثها زميله الاول .

وبعد لحظة .. لحق الرجل الثالث بزميليه فى الماء المثلج!!

قال لوبين وهو يصلح هندامه :

ـ الآن قد تم لنا الخلاص من (المعارضة) فلننظر فى أمر هذا القزم.

وتحول لوبين الى الرجل القصير القامة الذى كان سببا فى كل ماحدث. ونظر اليه على ضوء احد مصابيح الجسر . فرأى وجها نحيلا تطل منه عينان سوداوان شاردتان .

سأل الرجل بالفرنسية :

— الى اين كنت ذاهبا أيها الصديق ؟

فهز الرجل رأسه واجاب :

— لست افهمك .

فردد لوبين سؤاله بالالمانية قائلا :

— انى اسألك الى اين كنت تقصد ؟

ولشد ماكانت دهشته عندما نظر اليه الرجل مستنكرا وأجاب بصوت أجش :

ـ لن اصرح لك بشىء .

قطب لوبين حاجبيه . وفكر فى الأمر بسرعة .

لم يكن من الطبيعى أن تنقذ انسانا من مثل تلك الورطة التى وقع فيها الرجل القصير القامة . ثم اذا سألته عن المكان الذى يقصد اليه لكى تتولاه بحمايتك ورعايتك الى ان يصل الى حيث يريد . أجابك فى خشونة وغلظة وجفاء . بدلا من أن يشكرك ويصفك بالبطولة .. ومتى وصل الى بيته عمد الى وصيته . فاستبدلها بأخرى . وجعلك وريثه الأوحد .

خطر للوبين خاطر فابتسم وقال للرجل فى رفق :

ـ انك مخطىء ياصاح فنحن لسنا مطارديك . ولانريد بك سوءا . لقد ذهب اولئك الأشقياء . وانقذنا حياتك منهم .. فيجب اذن ان تنظر إلينا كما تنظر الى اصدقاء .

وقد نطق لوبين بهذه الكلمات باللغة الألمانية الصحيحة . وبلهجة ودية لاتدع شكا فى نواياه . وكان ينتظر ان يسمع من الرجل جوابا رقيقا . يدل على الامتنان وعرفان الجميل.

ولكن ماوقع كان غير ذلك . والظاهر ان الخطر الذى استهدف له الرجل هز اعصابه . وأخرجه عن طوره . لأن لوبين لم يكد يفرغ من كلامه حتى خلص الرجل ساعده من قبضته بسرعة البرق ، ودفع أصابعه

نحو عينى لوبين كأنه يريد أن يفقأهما .

فانحرف لوبين قليلا وهو يقول :

ـ صبرا ياصديقى العزيز .. ودعنا نتفاهم .

وامسك بمعصم الرجل بشدة فمنعة من الحركة .

وفى هذه اللحظة .. شعر لوبين بيد هوبى تقبض على ساعده ، وسمعه يهتف :

ـ انظر . .

وأشار إلى الجانب الآخر من الجسر . فرأى لوبين على ضوء المصابيح رجلا يرتدى ثياب البوليس . ويعدو نحوهم . ثم سمع دوى صفارته يعكر سكون الليل .. فلم يبق لديه شك فى أن ممثلى النظام والقانون قد استيقظوا من نومهم .. ولكن هذه اليقظة جاءت متأخرة .. بعد أن أثارت الحوادث فضول لوبين .. وجعلته لايقنع بدور المنقذ . .

وشعر لوبين فى ذات الوقت بأن الرجل القصير القامة يحاول التملص من قبضته . . ثم رآه يرفع يده ويهم بأن يهوى بالصندوق الصغير على رأسه فأسرع اليه . ولكمه فى فكه لكمة ألقت به على الأرض فاقد الرشد .

وهنا فقط لاحظ لوبين أن الصندوق الصغير مشدود إلى معصم الرجل بسلسلة دقيقة من الفولاذ . فلم تدهشه هذه الملاحظة . . ورأى انها مجرد حلقه من سلسلة المشاهدات العجيبة التى اتفقت له فى تلك الليلة . والتى يستطاع بحثها وتحليلها فى فرصة أخرى . . وفى وقت غير هذا الوقت الذى يرى فيه أحد رجال البوليس مقبلا نحوه وصفارته فى فمه !!

انحنى لوبين فوق الرجل القصير القامة . وحمله . وألقى به على كتفه . وانطلق يعدو نحو شارع الارشيدوق اوتو .

ورأت باتريشيا على شفتى لوبين ابتسامة .

والواقع . ان هذه المغامرة الفجائية السريعة قد اصابت هوى من نفس لوبين فلذ له ان يستحيل ـ فى فترة لاتتجاوز الدقيقتين ـ من سائح هادىء محترم .. الى رجل يفر من وجه البوليس .

ولما بلغ إلى نهاية الجسر . أمسك بساعد باتريشيا . وانحدر بها نحو سور منخفض قائم على ضفة النهر وقال لها :

ـ اقفزى فوق هذا السور .

فاطاعت .

وانثنى لوبين إلى هوبى برجز وقال له :

ـ أما أنت فتستطيع مراوغة الشرطى وتضليله ليبتعد عن هذه المنطقة . ولنتقابل فى الفندق بعد ربع ساعة .

قال ذلك ووثب بحملة فوق السور وكمن هناك مع باتريشيا . حتى سمع وقع خطوات الشرطى وهو يبتعد فى اثر هوبى .

. . .

نهض لوبين واقفا . واطل من فوق السور واطمأن إلى خلو الطريق من السابلة ورجال الشرطة . فقال محدثا باتريشيا :

ـ هلمى بنا .

فقالت باتريشيا وهى تثب معه فوق السور الى الشارع :

- لقد كنت اشعر منذ البداية بأن سياحتنا فى النمسا لن تنتهى بسلام .

فنظر اليها لوبين نظرة بريئة وقال ببساطة :

- ولماذا لا تنتهى سياحتنا بسلام أيتها العزيزة ؟ ؟ الم ننقذ رجلا بريئا من الموت ؟ اننا لم نخرق القانون حتى الآن .. وكل ماهنالك أن هـذا الصديق القصير القامة أثار فضولى .. ورأيت أن مسألته تستحق البحث والدراسة . والتفـكير . وقد قطع على رجل البوليس حبل التفـكير . فلم ار انسب ولاابسط من تجنب رجل البوليس وذلك مافعلته . وهو طبيعى كاترين .

- إن مافعلته أنت الآن لايقدم عليه السائحون المحترمون .

- بل على العـكس . انه يضاعف من احترام الناس لنا .. وهل بين الناس من هو أحق بالاحترام من اولئك الذين يعرضون ثيابهم الأنيقة للتمزيق لـكى ينقذوا رجلا من براثن الموت ؟

فهزت باتريشيا كتفيها ثم سألت :

- والى أين تذهب الآن ؟

- إلى أين ؟ إلى الفندق طبعا ياصديقتى العزيزة .. ان الدم يجمد فى عروقى كلما فـكرت فى أننى كـدت أترك هذا الصديق وشأنه .

ونظر إلى حمله واستطرد :

- انه أثمن لقطة وقعت عليها فى حياتى . ولولاه لأصبحت الاقامة فى هذا البلد الهادىء لاتطاق .

فابتسمت باتريشيا .

وماذا كان بوسعها أن تفعل إلا أن تبتسم وهى تسير فى مدينة لا تعرفها متأبطة ساعد رجل يحمل على كتفه جسم شخص اجنبى لا يمت اليهم بصلة . وهذا الرجل يرفض الاعتراف بأنه خرق القانون ويصر على ان اختطاف أحد الغرباء لغير ماسبب معقول هو أمر طبيعى مألوف.

هزت باتريشيا كتفيها إذن وابتسمت . وسارت مع لوبين فى الطريق الي الفندق .

ولم تستغرق الرحلة أكثر من بضع دقائق . ولـكنها كانت بالنسبة إلى باتريشيا أطول من بضعة أعوام ، وكانت تسأل نفسها طول الطريق ترى ماذا يـكون من أمرهم اذا صادفهم أحد رجال البوليس . أو ارتاب فى أمرهم احد المارة .

على أن الرحلة انتهت بسلام ، ووصل الاثنان الي فندق (كونجزهوف) دون أن يعترضهما احد .

• • •

كان فندق (كونجزهوف) من أفخم فنادق (اينزبروك) بل كان افخمها على الاطلاق ، وقد احتجز لوبين الطابق الأرضي من هـذا الفندق لاقامته وإقامة صديقيه باتريشيا وهوبى ، فلما بلغ إلى الحديقة وثبا فوق سورها واجتازا الحديقة فى الظلام ودخلا من نافذة احدى غرف النوم وهى ترتفع عن الارض أكثر من متر .

ووضع لوبين الرجل القصير القامة علي الفراش ، وشد وثاقه ، ثم لحق بباتريشيا فى غرفة الاستقبال .

سألته باتريشيا :

ـ ألا تنوى التخلص من هذا الرجل بأسرع ما يمكن ؟

فابتسم لوبين وأجاب وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ أنه مستغرق فى نوم هادىء سعيد .. فلنتركه يستيقظ من تلقاء نفسه .

فقالت باتريشيا :

ـ واذا استيقظ الرجل واستغاث وملأ الدنيا صراخا ؟

ـ ان الاستغاثة والصراخ هما آخر ما يفكر فيه هذا الصديق العزيز .. انه قد يئن ويتوجع ويتأوه .. ولكنه لن يستغيث .

* * *

وفى هذه اللحظة سمع لوبين طرقا على الباب الخارجى ، ففتحه ، فاذا القادم هوبى بريجز .

كان هوبى يلهث من التعب ، وقد تهدلت ثيابه حول جسمه مما يدل على انه لجأ فى التخلص من الشرطى الى وسيلة لا يمكن ان توصف بانها من الوسائل السلمية .

وقال له لوبين وهو يبتسم :

ـ انى احسدك .. إذ يخيل الي ان رحلتك لم تخل من الحركة والنشاط .

فهتف هوبى ساخطا :

ـ أظن أن هذه هى آخر نزهة ليلية أخرج فيها معك .

ـ يالله .. لقد كنت أتوقع أن تشكرنى بحرارة إذ هيأت لك مباراة فى الملاكمة من الطراز الأول تنشط فيها عضلاتك الخاملة .

فالتفت هوبى الى باتريشيا وقال :

ـ مارأيك فى هذا يا باتريشيا . انه بدأ يلقى بالناس فى الأنهار ويخطفهم تحت انظار رجال البوليس . ومعنى هذا بصريح العبارة اننا سنقضي بقية هذه الرحلة المشئومة فى غرفة ضيقة لا يحسدنا عليها أحد السائحين .

ثم التفت الي لوبين وسأل :

ـ ولكن ماذا فعلت بذلك القزم المنحوس . ألم تتخلص منه بعد؟!

فأشار لوبين بأصبعه نحو باب غرفة النوم وقال :

ـ انه فى هذه الغرفة يستمتع بألذ الأحلام وقد كنت انتظر قدومك لكى أبدأ فى استجوابه على مسمع منك . فلا يفوتك شىء من دقائق هذه المغامرة ، ومتى قال لنا ما عنده وأماط لنا اللثام عن سر الاعتداء الذى وقع عليه . أمكننا أن نضع خطتنا وأن نقضي فى أمره وفقا للظروف .

فأطرق هوبي برأسه وغمغم:

ـ هذا هو الرأى الأصوب ؟

وتقدم لوبين من الباب المؤدى إلى غرفة النوم ، وفتحه ونفذ منه . لكنه ماكاد يضىء المصباح الكهربائى وينظر إلى الفراش حتى جمد فى مكانه .

ذلك أنه رأى الرجل القصير القامة ، ممددا فى الفراش ، وهـو مفتوح العينين . متقلص تقاطيع وجهه . والدم لايزال يسيل من جرح هائل فى صدره . وقد تدلى الصندوق الصغير من يده .

الفصـل الثاني

الأرشيدوق

أخذ لوبين يحل وثاق الرجل وهو مقطب الجبين .

كان قد الف المفاجآت المزعجة ، ومناظر الموت العنيف ، ومـع ذلك فقد مرت فى جسده رعدة شديدة حين رأى تلك الموتة العنيفة السريعة التى انتهت بها حياة ذلك الرجل التعس .

كانت تلك الجريمة البشعة تعنى اكثر من دلالتها .

كانت تنطوى على تهديد وتحد لا يسعه أن يتجاهلهما .

* * *

وكانت باتريشيا قد لحقت بهما فهالها ما رأت وهتفت :

ـ يالله . كيف حدث هذا !

فأجاب لوبين :

ـ حدث بأبسط الوسائل . فقد تبعنا أحد خصوم هذا التعس ودخل الغرفة اثناء وجودنا فى قاعة الاستقبال وارتكب جريمته دون ان نشعر به .. ولاذ بالفرار .

والحق انى كنت اتوقع ان يتبعنا بعضهم . فكنت فى الطريق الى هنا ارهف السمع جيدا . ولكنى لم أجد ماريبنى .

أما الأسباب التى أدت الى قتل هذا المسكين . فان الوقوف عليها يتطلب شيئا من التفكير العميق .

* * *

لم يحس لوبين بشيئا من الحزن لمصرع الرجل ، لأنه لم يكن يعرفه ، ولم تكن تربطه به رابطة صداقة أو الفة ، وأكثر من ذلك انه كان يشعر بان الهيئة الاجتماعية لم تخسر عضوا مفيدا بوفاة هذا الرجل .

بيد أن تلك الجريمة المنكرة كانت فى ذاتها مفتاحا للسر الذى حيره منذ البداية .

قال محدثا زميليه : ألم أكن مصيبا ؟

فسأله هـوبي :

ـ فيم !

ـ فى انى اختطفت هذا الرجل . . لقد حسبتما انى أخبط خبط عشواء . وانى أعمل على غير هدى . بغية التسلية والدعابة ، ولكن الواقع غير ذلك .

وأمسك بين يديه بالصندوق الصغير وراح يفحصه بامعان .

كان صندوقا فولاذيا على جانب عظيم من المتانة ودقة الصناعة وقد لاحظ لوبين على الفور ان من المستحيل على غير الخبراء أن يعرفوا بالعين المجردة موضع الغطاء .

سأله هوبي :

- هل تستطيع أن تفتح هذا الصندوق ؟

فهز لوبين رأسه وأجاب :

- لا أستطيع ذلك بأية آلة أو أداة من الآلات والأدوات التى نملكها فى الوقت الحاضر . إن صانع هذا الصندوق الذى يشبه علبة السردين هو شخص يعرف مهنته حق المعرفة .

قال ذلك وفتح إحدى حقائبه ، وأخرج منها طائفة من الأوراق وضعها على الفراش .

ثم تناول أداة عالج بها السلسلة التى شد بها الصندوق إلى معصم الرجل ولكنه أدرك عقم هذه المحاولة . فترك الأداة . وتناول قنينة من المطاط (الكاوتشوك) وسكب منها على السلسلة قطرة من سائل أسود . وقال محدثا هوبي:

- هذا السائل هو حامض الهيدروفلوريك الذى يصفه الكيميائيون بانه (أجوع) السوائل ، لأنه يلتهم أية ماددة يمسها .

فسأله هوبى :

- ألا تستطيع إستخدامه فى فتح هذا الصندوق؟

- كلا . . أن الهيدروفلوريك لا يأكل المادة التي صنع منها هـذا الصندوق .

وانفصمت السلسلة فى الحال . وسقط الصندوق على الأرض فتناوله لوبين . وفحصه طويلا . ثم أشعل لفافة تبغ أخرى . وأخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابا وعلى وجهه علامات التفكير العميق .

وأخيراً وقف أمام هوبى . وقال :

- لقد وضح لنا الآن أمر أو أمران . فما لاشك فيه أن مفتاح السر فى هذا الصندوق الذى يشبه علبة السردين . وإن الرجال الذين هاجموا القتيل إنما ارادوا الاستيلاء على هذا الصندوق.

أما جريمة القتل فلا بد أنها إرتكبت لأحد سببين . إما لأن القتيل كان يحمل هذا الصندوق . وإما لأنه يعرف سر محتويات الصندوق ويراد التخلص منه حتى لايذيع هذا السر .

والرجل الذى طعن القتيل فى صدره تلك الطعنة النجلاء . قد حاول أن يقطع السلسلة ويفر بالصندوق . ولكنه لم ينجح لأنه لم يكن يملك الأدوات اللازمة لقطع السلسلة . فاكتفى بان إجتذب الصندوق بقوة حتى تركت السلسلة أثراً عميقاً فى معصم القتيل .

ولما لم يوفق فى محاولته ، ترك الصندوق ولاذ بالفرار .

على أن هناك أمر لاشك فيه . هو أن محتويات هذا الصندوق ليست من الأشياء المحترمة التى يجوز ذكرها علانية فى دوائر البوليس والقضاء .

فقال هوبي :

- لقد إعتاد مندوبو بعض البنوك أن يحملوا صناديق ثمينة يشدونها الى معاصمهم بهذه الطريقة .

فقلب لوبين شفته وقال ساخراً :

- هذا صحيح . فالشوارع تملأ فى الساعة الثانية صباحا بمندوبي

البنوك وصناديقهم الثمينة .

كذلك جرت العادة أن تنقل المستندات الدبلوماسية والوثائق السياسية الخطيرة فى صناديق من هذا النوع . يشدها الرسل إلى معاصمهم بهذه الطريقة . فاذا هوجم أحد هؤلاء الرسل فى الساعة الثانية صباحاً . فانه لا يرسل فمه بصيحة إستغاثة . وإذن فلابد أن يكون القتيل سفيرا خطيراً من سفراء إحدى الدول العظمى . إليس هذا رأيك ياعزيزى هوبى ؟

فهز هوبى رأسه وقال :

ـ لقد فهمت غرضك . أن القتيل إذن من اللصوص .

فابتسم لوبين وأجاب :

ـ هذا أول إستنتاج ثمين تفتق عنه ذهنك أيها العزيز . أن القتيل كان حقا من اللصوص . ولـكن من هم أولئك الذين فتكوا به ؟

ففكر هوبى لحظة ثم قال :

ـ لاشك فى أن هناك عصابة أخرى من اللصوص أرادت الاستيلاء على الصندوق . فهاجمت الرجل على الجسر للفتك به .. ولاشك كذلك فى أن القاتل هو أحد اولئك الأشقياء الذين القينا بهم فى النهر .

فهز لوبين رأسه وقال :

ـ اذا صح ذلك فلابد ان تكون ثياب القاتل قد جفت بسرعة البرق ! انظر إلى ارض الغرفة . اننا لا نرى بها قطرة واحدة من قطرات الماء .

كلا أيها الصديق . إن القاتل هو شخص آخر غير أولئك الذين قذفنا بهم إلى الماء . ولـكنه شريكهم . وقد كان يرقب كل شىء عن كثب ثم تبعنا الى هنا وأرتكب جريمته .

ولـكن من هم أعداء القتيل ؟

ـ هل تعرفهم ؟

فأجاب لوبين فى هـدوء .

ـ نعم ، اظن انى أعرفهم

وهنا حلقت باتريشيا فى وجه لوبين سائلة مستفسرة فاستطرد :

ـ انهم من رجال البوليس .

وهنا جمد هوبى فى مكانه ، ونظر إلى لوبين كمن لا يصدق اذنية وهتف :

ماذا ؟ هل تعنى ان ...

فقاطعه لوبين ضاحكا :

ـ نعم هذا ما اعنيه

ـ هل انت واثق ؟

فوضع لوبين الصندوق على إحدى الموائد وقال :

ـ من هم إذن إن لم يكونوا من رجال البوليس ؟ أن القتيل لم يصرخ قط مستغيثا ، لأنه يعلم ان احداً لن يغيثه من رجال البوليس وقد ادركت هذه الحقيقة منذ البداية ، ولـكنى لم اقطع بصحتها الى ان رأيت القتيل يحاول التخلص منى بكل الوسائل الممكنة.

ألا تذكر قوله « لن اقول شيئا » ؟ انها عبارة مألوفة تراها حاضر
دائما فى افواه اللصوص والأشقياء عندما يقبض عليهم .

فوقف هوبي مشدوها لحظة ، ثم هتف:

ـ تريد ان تقول انى كنت اناضل طيلة النصف ساعة الأخير
واقذف بالناس فى الماء لأنقذ احد الأشقياء من ايدى رجال البوليس

ـ هذه هى الحقيقة يا صديقى ، ولا تنس انك الذى بدأت المر
واجتذبتنى معك الى مهاوى الأثم والجريمة ، وها نحن اولاء فى مر
لا يحسدنا عليه احد ، فامامنا جثة لا يعلم غير الله كيف الخلاص من
وصندوق لا نعرف محتوياته ، وهناك رجال البوليس يترصدو تناولا
ان للقتيل شركاء سوف يتوهمون اننا الذين قتلناه

فما قولك فى هذا الموقف البديع الذى تورطنا فيه ، وقد كنا م
نصف ساعه نحسد انفسنا على الهدوء والسكينة وراحة البال والضمير

فتهالك هوبى على احد المقاعد وغمغم .

ـ سلام على راحة البال والحرية.

فهز لوبين كتفيه وقال :

ـ من اراد الافلات من المتاعب فهذا وقت الفرار.

بيد انه لم يكد ينطق بكلمة (الفرار) حتى سمع طرقا على البا
الخارجى ، فاستطرد :

ـ وا أسفاه لقد ضاعت الفرصة !

فهتفت باتريشيا :

ـ يالله .. ترى من القادم ؟! انهم رجال البوليس بغير شك .

فقال هوبى :

ـ او شركاء القتيل .

فابتسم لوبين وقال :

ـ سنعرف ذلك فى التو واللحظة.

وتفقد مسدسه فى جيبه . ثم قصد إلى الباب بخطوات سريعة .

* * *

كانت الدقات التى سمعها على الباب هادئة متزنة لا تدل على أن الطارق من رجال البوليس .

كان يخيل لمن يسمعها أن الطارق عاشق ارستقراطى يريد أن يتسلل إلى خدر عشيقته دون أن يشعر به أحد .

غير أن لوبين لم يفكر فى الأمر طويلا . بل اقترب من الباب . ورفع مزلاجه . وقبل أن يفتحه ، سمع وراء ظهره صوتا يقول :

ـ أرجو أن لا تقدم على عمل من أعمال الحماقة تندم عليه فيما بعد.

فالتفت لوبين وراءه بسرعة .. ورأى شابا أنيقا يرتدى ثياب السهرة .. ولا يحمل من السلاح غير عصاة سوداء مزينة بحلقات من ذهب .

وحملق لوبين فى وجه القادم طويلا .. ثم أخذ يقهقه ويتراجع إلى الوراء حتى التصق بأحد الجدران .

هتف وهو لا يزال يقهقه :

- يا إلهى ، الأرشيدوق رودلف ، من كان يظن ان رجلا كالأرشيدوق رودلف يدخل البيوت من نوافذها .

* * *

إرتسمت على شفتى الأرشيدوق ابتسامة غامضة . وتقدم إلى الأمام خطوة أو خطوتين ، وقال فى أدب :

- يا عزيزى لوبين ، هذه فى الحق مصادفة طريفة ، إذ لم يكن يخطر لى ببال أن يتاح لى تجديد التعارف بيننا فى مثل هذه الظروف.

فنظر إليه لوبين فى شىء من الارتباك .

* * *

تذكر لوبين أنه رأى الأرشيدوق لأول مرة فى حفلة ساهرة فى دار السفارة الايطالية بباريس . وكان السفير الايطالى المركيز دومبريا قد دعاه إلى هذه الحفلة علي سبيل الاعتراف بفضله فى استرداد أربعة ملايين ليرة إيطالية زائفة استطاع لوبين فى الوقت المناسب أن يمنع تداولها فى الأسواق المالية .

وتذكر لوبين أن الأرشيدوق رودلف كان بين المدعوين إلى هذه الحفلة . وان المركيز دومبريا قدمه إلى الأرشيدوق بصفته (جيمس بارنيت) مدير مكتب بارنيت وشركاه للاستعلامات الخاصة . وأعمال البوليس السرى !!

وتذكر كذلك أن المركيز وصفه للارشيدوق عندما قدمه إليه بأنه (أعجب شخصية قابلها فى حياته) .

فكيف إذن عرف الأرشيدوق حقيقة إسمه ؟

لا بد أن تكون عبارة (أعجب شخصية) قد أثارت فضول الأرشيدوق .. وإن يكون المركيز قد أرضى هذه الفضول بأن سرد علي الأرشيدوق تفاصيل حادث الأربعة ملايين ليرة . وكاشفه بان جيمس بارنيت ليس فى الواقع إلا أرسين لوبين . تلك الشخصية العجيبة التى يتحدث عنها الجميع والتى يود كل انسان أن يعرفها .

« • »

فكر لوبين فى كل هذا عندما سمع الأرشيدوق يناديه باسمه الحقيقى .

ولما انتهى بتفكيره إلى استنتاج الحقيقة . ابتسم ابتسامته الهادئة . وقال :

- إننى سعيد بمقابلتك يا سيدى الأرشيدوق وإن كان دخولك البيوت من غير أبوابها يشعر بأن هذه المقابلة السعيدة ليست من المصادفات البحتة .

ثم التفت إلى هوبى .. وقال :

- دعنى أقدم إليك ضيفنا الكريم يا عزيزى هوبى .. هذا صاحب السمو الملكى الأرشيدوق رودلف ولي عهد بافاريا .

ونظر إلى الأرشيدوق واستطرد وهو يشير إلى هوبى :

- وهذا صديقى هوبي بريجز ، من كبار الصحفيين الانجليز .. وهو أخصائى فى البحوث الاجرامية . وذلك هو السبب فى أنه يلازمنى

كظلى . والآن لنر أية خدمة نستطيع أن نقدمها إليك ياصاحب السمو!

فنظر الأرشيدوق إلى الجيب الذى وضع فيه لوبين مسدسه . وكان متضخما . . وقال ببساطة :

ـ إننى أرجو خالص الرجاء يا مسيو لوبين ألا يكون فى نيتك الاقدام على عمل من أعمال الحماقة التى اشتهرت عنك . . وأعتقد أن وجود جثة واحدة فى غرفتك أمر فيه الكفاية .

فعض لوبين على شفته . وشعر بما فى لهجة الارشيدوق من سخرية وتحد . . وأدرك أن الأرشيدوق لم يشرفه بالزيارة بتلك الطريقة غير المألوفة لغرض ودى .

قال :

ـ أنت مخطىء يا سيدى الأرشيدوق ، فانى من هواة جمع الجثث على أننى أشكر لك المعلومات القيمة التى أدليت بها إلينا فى الكلمات القلائل التى نطقت بها فى التو واللحظة .. والتى فهمت منها أنك تنتمى إلى الطغمة التى أهدتنا الجثة الأولى . أليس كذلك ؟

فأطرق الأرشيدوق برأسه . وأجاب :

ـ إننى أعترف بكل أسف أن أحد رجالى هو المسئول عن الجريمة التى وقعت فى غرفتك وهى جريمة حمقاء لم يكن ثمة ما يبررها .

إن التعليمات التى أصدرتها إلى (أميليو) كانت تقضى عليه بأن يتعقب (وايسمان) ويلقى القبض عليه .

ـ ولكن الظاهر ان (أميليو) فقد صوابه عندما رآكم تنقذون (وايسمان) من أيدى رجاله . . فأقدم من تلقاء نفسه على هذه الجريمة المنكرة .

وأتى الأرشيدوق بحركة من يده . كأنه يريد الانتقال إلى موضوع آخر واستطرد :

ـ ومهما يكن من أمر فان غلطة (أميليو) لم تكن لها نتائج خطيرة اللهم إلا بالنسبة إلى (وايسمان) على أن أميليو لن يزعجك بعد الآن . فهل هذا الايضاح يشبع فضولك ؟

فهز لوبين رأسه وقال :

ـ بل بالعكس ، هذا الايضاح قد أثار فضولى . ولم يشبعه . . فمن هو وايسمان هذا؟

فرفع الأرشيدوق حاجبيه بشىء من الدهشة وقال :

ـ يخيل إلى أنك مسرف فى طلب الايضاحات يامسيو لوبين .

ـ إن الايضاحات المبتورة تزيد فضولى نهما ياسيدى الأرشيدوق. فما هى الغنيمة ؟

ـ عفوا . . إننى لا أفهمك .

ـ عهدى بك تفهم اللغة الفرنسية كأبنائها ياسيدى الأرشدوق . . إننى أسأل ماهى الغنيمة ؟ ماهى الصفقة ؟ ماهو المحور الذى تدور حوله كل هذه المطاردات والجرائم ؟ هل الغنيمة فى هذا الصندوق الذى يشبه علبة السردين ؟

فومضت عينا الأرشيدوق بسرعة.. ثم أطرق برأسه وق بلهجة حازمة :

ـ يخيل إلى أنك تنسى مركزك يامسيو لوبين .

ـ لقد جاء دورى لأقول أننى لاأفهمك .

فقال الأرشيدوق وهو يحرك عصاه فى يده كبندول الساعة :

ـ أنت تنسى ياصديقى العزيز أنى الزائر . وأننى الذى يجب أ يوجه الحديث ، ويلقى الأسئلة .

أنك شديد الفضول، ومن المحتمل أن تكون أو لاتكون جا بحقائق الأمور كما تتظاهر .

وعلى كل حال فالمسألة ثانوية ، وإذا كنت حقا تجهل الحقائق . فانى أؤكد لك باخلاص أنه من الخير لك ولسلامتك وصحتك أن تظ جاهلا بالأمر .

ثم نظر إلى ساعته واستطرد :

ـ أعتقد أننا أضعنا من الوقت أكثر مما يجب. فأصغ إلى يامسيو لوبين عندما اختطفت وايسمان ، كان هذا الأخير يحمل صندوقا صغير من الفولاذ .

ثم نظر إلى الجثة واردف :

ـ وأنا ألاحظ الآن أنك أخذت هذا الصندوق. ولما كان الصندوق ومحتوياته ملكا خاصا لى . فان من دواعى سرورى أن ترده إلى .

فأجاب لوبين على الفور :

ـ هذه مسألة فيها نظر ياسيدى الأرشيدوق .

« * »

وكان لوبين يعصر ذهنه طول الوقت لوضع خطة تناسب الموقف . ولكنه كان يشعر بأن من المتعذر عليه أن يضع هذه الخطة قبل أن يضع أصبعه على مفتاح السر. ويعرف محتويات الصندوق الصغير. وغرض الأرشيدوق من الاستيلاء عليه .

قال الأرشيدوق :

ـ أنى أكاد أقتنع أيها الصديق العزيز بأنك على جهل تام بالحقائق ولست أكتمك أننى عندما جئت لزيارتك بنفسي لاسترداد الصندوق . لم أكن أعلم بأننى سأتشرف بمقابلة رجل أعرفه . بيد أنى كنت واثقا على كل حال بأن الشخص الذى أفسد خططى وتدابيرى واختطف وايسمان من أيدى رجال البوليس . لايمكن أن يكون رجلا لين العريكة وأن التفاهم معه واسترداد الصندوق بالحسنى لايمكن أن يتما بسهولة . ومع ذلك فقد جازفت بهذه الزيارة إرضاء لفضولى الشخصى . ولكنى لاأشعر بالندم على هذه المجازفة . بقدر ماأشعر بالأسف على فشل محاولتى ، وعزائى عن هذا الفشل أنه ليس من الميسور للانسان أن ينال كل ماينبغى .

فقال لوبين وهو يبتسم :

ـ أرجو أن تسمح لى ياسيدى الأرشيدوق فأؤكد لك أنى أبذل

قصارى جهدى لارضائك ، بيد أنى رجل فضولى إلى أبعد حد . ويهمنى أن أرضى فضولى قبل أن أرضيك .

فقال الأرشيدوق وهو يبتسم . إن هناك ظروفا يكون فيها الجهل بالأشياء نعمة للانسان ، على أنى أخشى أن أكون قدحولت انتباهك عن الحقائق أكثر مما يجب . .

وهنا فقط شعر لوبين بفوهة مسدس تلتصق بظهره .

كان دخول الأرشيدوق من النافذة فجأة وعلى غير انتظار قد أنسى لوبين الشخص الذى طرق الباب ، ومكن بذلك للارشيدوق من أن يثب من النافذة دون أن يشعر به أحد . .

ونسى لوبين وجود ذلك الشخص طيلة الوقت الذى استغرقه الحديث بينه وبين الأرشيدوق ولكنه تذكره فجأة حين أحس بفوهة المسدس تلتصق بظهره .

لم يعرف كيف استطاع ذلك الشخص أن يفتح الباب ويدخل دون أن يحس به ، ولكنه إعترف فيما بينه وبين نفسه بأن الأرشيدوق كان بارعا غاية البراعة فى إستدراجه بذلك الحديث ، وتحويل إنتباهه عن الرجل الآخر الذى طرق الباب أولا ، ثم تسلل منه ثانياً . .

ابتسم الأرشيدوق وقال :

ـ من دواعى أسفى أن ألجأ إلى معاملتك على هذا النحو ، ولكن الذنب ذنبك ، فانك خيبت رجائى فيك ، ورفضت أن تفهم .

وسار إلى حيث كان الصندوق الصغير موضوعا على إحدى الموائد

وتناوله بهدوء وقال :

ـ يجب قبل الانصراف أن أكرر ماقلته قبلا ، وهو أن هناك ظروفا يكون فيها جهل الانسان ببعض الأمور أفضل لصحته وأبقى على حياته مما لو علم بها .

« ٥ »

ولم يكن لوبين قد إخرج يده من جيبه طول هذا الوقت ، وكان المسدس لايزال بين أصابعه . . فضغط على الزناد وانطلقت من جيبه رصاصة أصابت المصباح الكهربائي الوحيد الذى يضىء الغرفة .

أطلق لوبين تلك الرصاصة ، وارتمى على الأرض فى الحال ، وسمع أزيز رصاصة من مسدس صامت تشق طريقها فوق رأسه .

ولكنه لم يمكن الرجل الذى كان واقفا وراءه من أن يطلق رصاصة أخرى ، لأنه أحاط ساقيه بساعديه وأسقطه على الأرض .

وسمع هوبى بريجز وباتريشيا هولم صيحة مختنقة أعقبها سقوط جسم على الأرض وأنه مزعجه .

ثم فتح الباب وأغلق بسرعة . . وساد الصمت .

« ❊ »

وبحث هوبى بريجز فى جيبه حتى عثر بعلبة ثقاب ، فأشعل عودا ونظر حوله .

رأى باتريشيا هولم واقفة تجيل البصر حولها فى دهشة .

ورأى تحت قدميها رجلا يتلوى من الألم . فعرف فيه فى الحال ذلك

الرجل الذى دخل خلسة ، وصوب مسدسه إلى ظهر لوبين .

أما الأرشيدوق ولوبين فلم يكن لهما فى الغرفة أثر .

الفصل الثالث

نزهة مجانية

عندما تحطم المصباح الكهربائى وساد الظلام فى الغرفة .. حمل لوبين الرجل الذى كان يهدده بمسدسه . فرفعه فوق رأسه بيديه القويتين ، ثم تركه يهوى على الارض .

وتملكته رغبة شديدة فى أن يعامل الأرشيدق بالمثل .. ولكنه ملك شعوره وضبط نفسه .. وآثر أن يؤجل تصفية الحساب مع الأرشيدوق لوقت آخر .. لأنه لم يكن على بينة من عدد الأعوان الذين يحتمل ان يكون الأرشيدوق قداصطحبهم معه . وتركهم بالباب

ووثب لوبين من النافذة ووجد نفسه فى حديقة الفندق .. فكمن هناك وراء إحدى الأشجار وراح يرقب .

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام ، ولكنه لم يتبين شيئا .

أخذ ينتقل بين الأشجار بخفة الفهد ، حتى اقترب من سور الحديقة فوثب فوقه ، وكمن فى أسفله .

وبعد لحظة ، سمع حركة صادرة من الحديقة ، ثم رأى شخصا يثب فوق السور فعرف فى ذلك الشخص غريمه الأرشيدوق .

تبعه بحذر ، ورآه يقصد إلى ناحية معينة فى الطريق ، فأرسل بصره إلى تلك الناحية ، وتبين فيها سيارة كبيرة سوداء اللون .

فأدرك أنها سيارة الأرشيدوق .

وتريث لوبين فى مكانه . وانبطح على الأرض .

وانتظر حتى رأى الأرشيدوق وهو يدخل السيارة وسمع باب السيارة يغلق . . فانتصب واقفا وأخذ يعدو بخفة حتى لحق بالسيارة قبل أن تتحرك ، فتعلق بها من الخلف ، ووثب على سطحها بحركة بهلوانية ساعدته عليهاقوة عضلاته . ومرونة جسمه .

« . »

تحركت السيارة . ولوبين منبطح فوق سطحها .

كان يشعر بأنه أقدم على مجازفة جنونية ، لأنه من المحتمل أن تنطلق به السيارة فى رحلة طويلة إلى (بافاريا) وإنها قد تسلك طريقا وعرآ حافلا بالمرتفعات والمنخفضات فيسقط عن سطحها سقطة ربما يكون فيها هلاكه .

يضاف إلى ذلك خطر الافتضاح فى أية لحظة .

نعم .. كانت المجازفة جنونية ، سيما وأنه ترك صديقيه فى الفندق وأمامهما جثة رجل مقتول ، وجسم رجل فاقد الرشد ، ولم يترك وراءه أي دليل يرشد صديقيه إلى المكان الذى يقصد إليه .

بيد أنه كان مطمئنا إلى ذكاء باتريشيا .. وقوة عضلات هوبى .

كان واثقا من أنهما سوف يجدان حيلة للخروج من المأزق الذى تركهما فيه ، فاذا تعذر عليهما إيجاد مخرج ، فليس أقل من أن يلزما جانب الصمت والسكون ، انتظارا لتطورات الحوادث .

واصلت السيارة رحلتها بسرعة البرق .. فى طريق منتظم ممهد

ووجد لوبين فى استطاعته أن يلقى نظرة إلى داخل السيارة دو أن يتعرض لخطر . فأمسك بحافة السيارة بكلتا يديه .. وألقى بر إلى أسفل .

كانت سيارة فخمة جديدة بولى عهد بافاديا .. وكان جوفها مض بأربعة مصابيح كهربائية صغيرة مثبتة فى أربعة أركان السقف . فرأ لوبين الأرشيدوق جالسا فى أحد الأركان ، وهو يدخن فى هدوء والصندوق الفولاذى الصغير بجواره :

(•)

وخرجت السيارة من ذلك الطريق الممهد وشرعت تصعد طر صخريا رديئا ، وتهتز بقوة وعنف . فقبض لوبين على حافتها بأصاب حتى لا يسقط ، وأغمض عينيه حتى لا يرى امتداد الطريق ، وبف المتاعب التى فى انتظاره .

(•)

وبعد رحلة سريعة مضنية إستغرقت ما يقرب من نصف ساعة إقتربت السيارة من قصر ضخم مظلم ذى أبراج مرتفعة ذكرت لو بالحصون وقصور النبلاء فى القرون الوسطى ، وأرسل السائق من نف السيارة صوتا منتظما لتنبيه حارس الباب .

وأخذت السيارة تبطىء :

وفتح باب القصر بسرعة .

وادرك لوبين ان الخطر قد اقترب . وان نظرة واحدة من بواب القصر إلى السيارة لا بد أن تؤدى إلى افتضاح أمره .

ولكن الحظ كان حليفه ، فان السائق ما كاد يدنو من باب القصر حتى اضاء المصباحين الأماميين للسيارة فانبعث منهما ضوء قوى بهر بصر الحارس الذى فتح الباب .

وأدرك لوبين ان هذه هى فرصته الوحيدة للاختباء ، فاذا لم ينتهزها أفتضح أمره .

نظر حوله وأمامه .. وابصر بسقف الباب ، وحزم أمره على الخطة .

كان الباب قائما فى بناء مقبو مشيد بالأحجار الضخمة وليس فوقه شيء من الأبنية ، فلما شرعت السيارة تمر من الباب . نهض لوبين واقفا . ووثب فوق البناء الصخرى . وانبطح فوق الجدار . وبقى كامنا هناك حتى وقفت السيارة فى فناء القصر . وخرج منها الأرشيدوق ودخل إلى القصر مسرعا . وأطفأ السائق مصابيح السيارة .

(•)

وساد الصمت . ولزم لوبين السكون لحظة .. ثم شرع يفكر فى الموقف .

كان الباب قائما وسط السور الضخم الذى يحيط بالقصر ، وكان

هذا السور سميكا ، ومشيد بمثل الأحجار الضخمة التى بنى بهـا قبو الباب . فأخذ لوبين يزحف فوقه حتى وجد نفسه فى بقعة قريبة جدا من احدى مقصورات القصر ، فنهض واقفا .. وتحفز للوثوب .

(•)

وفى هذه اللحظة سمع لوبين صرخة جعلته يجمد فى مكانه .

كانت صرخة مؤلمة مخيفـة . لم يسمع فى حياته أهـول منها . هى صرخة انسان يتعذب عذابا فوق احتمال البشر .

سمع لوبين هذه الصرخة المزعجة الثاقبة . وشعر عندما سمعها كأن ابرة نفذت فى جمجمته واستقرت فى مخه .

ورفع بصره إلى القصر ، ورأى نافذة واحدة ينبعث منها النور . وعرف مصدر تلك الصرخة .

وثب من السور إلى المقصورة . ووجـد باب المقصورة مغلقا ، فعالجه لحظة . ولـكن بغير جدوى .

على أنه ابصر بأفريز عريض من الحجر يصل بين المقصورة و نوافذ القصر ، فتقدمه إلى ذلك الافريز وفحصه . ولما تحقق من قوته وصلابته وثب اليه . وهو لا يزال ممسكا بحافة المقصوره ، ثم أخذ ينتقل على الافريز بخفة وحذر ، حتى أصبحت النافـذة التى ينبعث منها النور فى متناول يده . فترك حافة المقصورة ، وتعلق بحافة النافذة .

(•)

تريث لوبين قليلا ليلتقط انفاسه . ويستجمع قواه . ثم راح يدنى

رأسه فى حذر حتى أصبح فى مقدوره أن يرى داخل الغرفة .

رأى الأرشيدوق رودلف جالسا فى مقعد كبير فى غرفة أنيقة الأثاث قد رصت حول جدرانها طائفة من دواليب الكتب .

ورأى أمام الأرشيدوق رجلا ممتلىء الجسم لا يرتدى غير القميص والسروال . وقـد شـد ساعده إلى جوانب المقعـد بـكلابات من حـديد !!

وحاول لوبين أن يتبين وجه الرجـل البدين . ولـكنه لم يوفق . لأن رأس الرجل كان مختفيا تحت جهاز عجيب من الفولاذ اللامع .

وقد ساد الصمت بين الرجلين لحظة . ثم اشعل الأرشيدوق لفافة وقال باللغة الألمانية :

ـ يجب أن تفهم ياعزيزى كراوس انى لا اسمح لكائن من كان بأن يفسد خططى بعناده وسوء نيته .

إنك لست فى نظرى إلا أداة قامت بما هو مطلوب منها . فلم تعد لى بك حاجة تذكر . وكل ما أطالبك به الآن هـو أن تفتح لى هـذا الصندوق الصغير . وتلك خدمة بسيطة لا تـكلفك شيئا . بل أنها أبسط وأتفه خدمة تستطيع أن تؤديها لى . وفى إستطاعتك أن تعزى نفسك عن تفاهتها بأنها تهمنى . وتوفر على الوقت الذى يجب أن ينقضى قبل أن تتمكن من فتح الصندوق بالقوة . وكما أنها توفر عليك كثيراً من الآلام الجثمانية والعذاب البدنى . فمن الخطأ إذن . بل ومن الحماقة أن تصر على الرفض والعناد .

فتحرك الرجل البدين فى مقعده بعنف . ورأى لوبين قطرة من الدم تسيل على ساعده من تأثير الكلابات الحديدية التى تشده الى المقعد.

هتف الرجل :

— أيها الشيطان الأثيم . ليسقط على رأسك دم وايسمان .

فقال الأرشيدوق بهدوء :

ـ إنى أعترف معك بانه لم تكن ثمة ضرورة لقتل وايسمان. ولكن هذه غلطة إرتكبها أميليو . أنت تعرف اميليو .. اليس كذلك؟ انه الذى ارتكب هذه الجريمة العقيمة بسوء تفكيره وتدبيره .

والواقع أن وايسمان وصل إلى اينزبروك سليما . ولما أراد رجال البوليس إعتقاله . انبرى لانقاذه رجل فرنسي قضت المصادفات العجيبة بأن يكون من اصدقائي .

وقد كنت أعرف عن هذا الفرنسى انه على جانب عظيم من المهارة واللباقة والقدرة على عمل المعجزات . ولكن من حسن حظنا ان هذا الفرنسى فقد مهارته ولباقته فاستطعت أن أسترد منه الصندوق بكل سهولة .

ومن رأيي أن تذهب لزيارة هذا الفرنسى فى أحد الأيام ياعزيزى كراوس . فان هناك وجوه شبه عديدة يجب أن تقرب بينكما . ولاشك أن من دواعى عزاء الانسان الماهر البارع الذى أفل نجمه . وساء حظه أن يجتمع بانسان آخر فى مثل مركزه لكى يتبادلا عبارات العطف والعزاء .

فقال الرجل البدين :

ـ سوف يأتى يوم يارودلف أثبت لك فيه أن الثعلب العجوز لا يخونه مكره ودهاؤه بالسرعة التى تتصورها .

فهز الأرشيدوق كتفيه بقلة إكتراث وأجاب :

ـ دعنا من الأيام التي سوف تأتي ياعزيزى كراوس . لقد سمعت كثيراً من أمثال هذه النبوءات التى قدر لها ألا تتحقق أبداً . دعنا من المستقبل الذى لا يزال فى علم الغيب . ولنفكر فى الحاضر الملموس.

إنك خدمتنى ـ دون أن تشعر ودون أن تريد ـ وأنا لا أجحدك هذه الخدمات . واريد ان اكافئك عليها بان اتركك تخرج على قيد الحياة من هذا القصر بعد إذ تؤدى الخدمة الصغيرة الأخيرة التى اطالبك بها .

بل واعدك كذلك بان انسي تهديداتك وإهاناتك لانها لم تؤثر بى على كل حال .

إنى لااميل جديا الى الاضرار بك . وليس هناك من الاسباب الحقيقية ما يدعوني إلى قتلك . سيما وان جثتك ستكون عبئاً ثقيلا علينا بل تعذيبك بهذه الطريقة التى الجأ اليها بالرغم منى . ليست مما يرضيني . والصرخات المؤلمة التي تنبعث من فمك ليست مما ترتاح له الاذن . فدعنا إذن نتفاهم وكفى ما اضعنا من وقت .

إفعل ما اطالبك به فـ ..

فقاطعه كراوس بصوت كهزيم الرعد :

- ايها الشيطان القذر . سوف تنتظر طويلا قبل ان انزل على إرادتك.

فقال الأرشيدوق دون ان يعبأ باهانات غريمه :

- لقد إنتظرت اكثر مما يجب ياعزيزى كراوس .

إننى أعلم منـذ ثلاثة شهور بالخطة الشيطانية البارعة التى وضعتها للاستيلاء على محتويات هذا الصندوق . وقد انزعجت لذلك فى بادىء الأمر .. حتى انى فكرت فى قتلك .. بيد انى انتهيت إلى خطة سلبية أفضل من خطة القتل ، وسفك الدماء .

وجدت اننا نحاول معا الاستيلاء على ذات الغنيمة ، وفكرت فى أن خير ماأفعله هو أن إنسحب من الميدان ، لكى يخلو لك الجو ، فتستولى على الغنيمه بما عرف عنك من الدهاء والجرأة .

وذلك ما حدث ، فانى وقفت منك موقف المتفرج ، حتى رأيتك وأعوانك ، تستولون على الغنيمة ، وتجتازون بها نصف أوربا وعندئذ نشطت للعمل .

• • •

وأرسل الأرشيدوق من فمه سحابة من الدخان .. ثم استطرد :

- نجحت خطتى إلى أبعد حدود النجاح ولم تبق أمامى سوى عقبة واحدة تافهة . هى فتح هذا الصندوق المزعج بالطريقة السرية التى أغلق بها .

ومتى تم ذلك وضعت يدى على الغنيمة .. فهل مازلت تصر على

الاحتفاظ بسر هذا الصندوق وطريقة فتحه !

فصاح كرواس :

- انى اوثر الموت على ..

فقاطعه الأرشيدوق بهدوء :

- بالعكس .. إنك لن تموت قبل أن تفتح هذا الصندوق .. وإذا كانت الذاكرة قد خانتك ونسيت الطريقة التى يفتح بها .. فاننا لانرى بأسا من انعاش ذاكرتك.

* * *

وضغط الأرشيدوق على زر أمامه .. ففتح الباب ودخل رجل طويل القامة . عريض المنكبين .

قال الأرشيدوق يحدثه :

- إن الهركراوس يحتاج اليك يافريتز .

وأشار بيده إشارة خاصة فاقترب فريتز من المقعد الذى جلس عليه كرواس . واخذ يحرك لولبا فى الجهاز الذى يحيط برأس هذا الأخير.

استطرد الأرشيدوق وهو يشعل لفافة تبغ أخرى :

- انه بحاجة إلى جرعة كبيرة لكى يغير رأيه . ويقلع عن عناده

فصاح كراوس بانفاس لاهثة :

- ابداً.

فهز الأرشيدوق كتفيه بقلة اكتراث.

وراح لوبين يرقب ما يقع فى الغرفة . وينظر بامعان إلى تلك الآلة

الجهنمية التى اخذ فريتز يدير لولبها .. فرآها تضيق بالتدريج حول رأس الرجل التعس . ورأى كراوس يضرب المائدة بقدميه فى ألم بالغ .. ويرسل من فمه أنينا مؤلما .. كأنين الحيوان الجريح .

على أن شيئا من مظاهر ألم الرجل وعذابه لم يؤثر فى نفس الأرشيدوق فقد ظل هذا الأمير القاسي القلب هادئا جامدا . كما لو كان يشهد على المسرح أو على الستار الفضى أحد مناظر التعذيب فى القرون الوسطى .

تخلص لوبين من المغنطيسية المخيفة التى تجتذب نظره وحواسه إلى ذلك المشهد ، واخرج مسدسه من جيبه .

وهنا قال الأرشيدوق بصوت هادىء :

ـ هل نشطت ذاكرتك وحلت عقدة لسانك ياعزيزى كراوس ؟

فهز كراوس رأسه ببطء ، واستجمع كل قواه لينطق بكلمة واحدة هى :

ـ كلا .

وكان صوته خافتا فلم يسمعه لوبين إلا بصعوبة .

أما الأرشيدوق فانه ابتسم ، ولم يظهر عليه شىء من دلائل الضجر والملالة .

وضع الصندوق الصغير على المائدة وقال :

ـ هو ذا الصندوق فى متناول يدك ياعزيزى كراوس ، فما عليك الا أن تقول كلمة واحدة ، ليمتنع فريتز عن عمله ، ويحل وثاق يديك .

انى اوثر أن تتولى بنفسك فتح الصندوق ، فربما كانت هناك مفاجأة لاتسر الشخص الذى يجهل سر فتحه .

ومتى فتح الصندوق ، ففى استطاعتك أن تعتبر نفسك حرا طليقا .

* * *

وادار فريتز اللولب . فأفلتت من فم كراوس صيحة هائلة شبيهة بتلك التى سمعها لوبين قبل ان يصل إلى النافذة وحرك الرجل التعس اصابع يده بطريقة فهمها فريتز فناوله الصندوق .

وعبثت اصابع كراوس فى جوانب الصندوق الغامض .

وبينما كان لوبين لايزال فى تردده . إذا بغطاء الصندوق ينفتح بحركة سريعة .

وهنا فقط قفز لوبين إلى داخل الغرفة .

* * *

ابصر فريتز بالزائر غير المنتظر فتراجع إلى الوراء فى ذهول ثم تحفز للوثوب ، فأطلق لوبين من مسدسه رصاصة مرت بجانب إذن الرجل ، وافهمته انه فى موقف جد ، لاموقف دعابة .

وتحول لوبين الى الارشيدوق وقال له بلهجة جافة :

ـ لو كنت فى مركزك لالتزمت جانب السكون .. ان من الخطر على صحتك ان تبدى اية مقاومة .

وكان الارشيدوق قد نهض واقفا ، ولكنه جمد فى مكانه عندما سمع هذا التهديد .. ورأى البريق الذى يتألق فى عينى لوبين .

واقترب لوبين من مقعد كراوس . وشرع يفحص تلك الآلة الجهنمية

التى تحيط برأسه . ولما عرف سرها ، أخذ يدير لولبها حتى انفرجت عن رأس الرجل التعس .

قال الارشيدوق بصوت هادىء :

– أؤكد لك ياعزيزى لوبين أن مبتكر هذا الجهاز قد راعى فيه الرحمة .. والانسانية .. فالجهاز يحدث ألما مؤقتا ولكنه لا يترك اثرا دائما .

فقال لوبين بلهجة حازمة :

– احقا تقول ؟ انه جهاز طريف .. ويسرني ان أجربه فى الشخص الذى ابتكره .

فابتسم الارشيدوق وسأل : وهل ذلك هو الغرض من زيارتك ؟!

–كلا ياعزيزى رودلف .. انت تعلم ان تجربة هذا الجهاز فى مخترعه ليست الغرض الاساسى من زيارتى . فشعارى دائما هو العمل اولا .. والتسلية فيما بعد .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة تهكم واستطرد :

– ما ابدع الحديث الذى سوف يدور بينك وبين الزميل كرواس بعد رحيلى ؟!

أن بينكما وجوه شبه عديدة يجب أن تقرب بينكما ، ولا شك أن من دواعى عزاء الانسان الماهر البارع الذى افل نجمه ، وساء حظه ان يجتمع بانسان آخر فى مثل مركزه لكى يتبادلا عبارات العطف والعزاء أليس كذلك ؟

فعض الارشيدوق على شفته وقال :

– لم أكن أعلم انك تفهم اللغة الألمانية وتتحدثها يامسيو لوبين !

فغمغم لوبين فى هدوء :

– هناك اشياء كثيرة لايعلمها الانسان الا بعد فوات الوقت . من ذلك مثلا انك لم تكن تعلم اننى سأصغى الي كل كلمة تقال فى هذه الغرفة . هل كنت تعلم ذلك ؟!

ولكن لا بأس عليك ياعزيزى الارشيدوق . فالانسان فى حياته عرضة للانتصارات والهزائم بأنواعها.

فقال الارشيدوق :

–أظن أن من واجبى أن اعتذر لك . فقد انتقصت من مواهبك ومقدرتك .

فأجاب لوبين وهو يبتسم :

– لقد كانت المسألة واضحة جلية . فاننى تركتك تستولى على الصندوق إذ لم تكن لى حيلة فى فتحه .

– هذا مافهمته .

– واذن فاننى ادين لك بالشكر لأنك وفرت على كثيرا من المحاولات والمتاعب .

وتلاقت اعين الرجلين . ولكن نظراتهما لم تعبر عما يختلج فى نفسيهما .

قال الارشيدوق وهو ينظر إلى لفافة التبغ التى بين أصابعه :

— هب أنني استغثت الآن ودعوت رجالي يا مسيو لوبين . إنك لا تربح شيئا إذا أطلقت الرصاص على .

ـ لا أعلم .. ولكني كذلك لا أخسر شيئا ، ومن الآن ، إلى أن تفكر فى الانتحار ، ارجو ان ترفع يديك ، وتريني عرض كتفيك ، وانت كذلك يا عزيزي فريتز ، إرفع يديك وحذار ان تأتى بحركة ، وإلا اذقتك جرعة مما اذقت كراوس .

« • »

ووقع بصر لوبين على جهاز التليفون فتناول السماعة ، وهتف :

ـ رقم ٢٨٣٩ اينزبروك . . آلو . . فندق (كونجزهوف) ؟؟ اريد الاتصال بالشقة رقم ٨ .. آلو .. آلو .. اهذه انت يا باتريشيا .. أيها الملاك العزيز ؟! كيف حال الدنيا عندكم ؟! إني قمت بنزهة ليلية بديعة فى جبال الألب ، على حساب صديقي الأرشيدوق ، ماذا تقولين؟ ها أنذا أصغي إليك أيتها العزيزة .

وأخذ يصغي باهتمام ثم هتف :

ـ هذا موقف ظريف ، دعيني أتحدث إلى هذا الشيطان هوبي ، آلو .. آلو .. أهذا أنت يا هوبي . إصغ إلى يا هوبي ، أن مهمتك الآن أن تثب مع باتريشيا فى أول سيارة يقع عليها بصرك ، وتقابلني فى الطريق المؤدى إلى مدينة (يفباخ) .

يجب أن تعجل . لأن السيارة التى سأقابلك بها هى أبطأ وأسوأ سيارة فى كل أوروبا ، والآن ، أسرع .

قال ذلك ووضع السماعة .

وقبل أن يفطن الارشيدوق إلى خطة غريمه ، إقترب لوبين من المصباح الكهربائي ، فأطفأه ، ووثب إلى خارج الغرفة .. وأغلق الباب وراءه .

الفصل الرابع

جثة وسجين

كان أول ما فعله هوبي عندما أشعل عود الثقاب ورأى مخلفات لوبين .. أنه اختطف المسدس الذى سقط من قبضة الرجل الذى صرعه لوبين قبل فراره من نافذة الفندق . ثم اجتذب الرجل إلى غرفة الاستقبال حيث كان المصباح الكهربائي يرسل نوره الساطع ، فألقى الرجل هناك ووضع مقعداً فوق صدره ليعيقه عن الحركة . وجلس فوق المقعد وأشعل لفافة تبغ .

قالت باتريشيا وهى تضحك :

ـ أهذا كل ما فى نيتك أن تفعله ؟

ـ وماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك ، هل أطلق عليه الرصاص ؟

وحرك المسدس فى يده . فصاحت باتريشيا :

ـ كلا .. بحسبنا وجود قتيل واحد ، ولكن لا تنسى ان جلوسك فوقه قد يزهق روحه ، ومن الأوفق أن تشد وثاقه . وتكمم فمه حتى لا يئن ولا يستغيث .

- هذا هو الرأى الأصوب ، ولا اعلم كيف لم يخطر ببالى ان افعل ذلك .

واسرعت باتريشيا إلى إحدى حقائب لوبين . وجاءت بحبل ومنديل . وتعاونت مع هوبي على تقييد الرجل وكم فمه .

ولما فرغ هوبي من هذه المهمة ، فرك يديه بارتياح . ثم قال :

- والآن بقيت عندنا جثة القتيل ، فهل تعلمين ماذا كان يفعل بها لوبين ، لو انه لم يهرب ويتركنا فى هذا الموقف الذى لا يحسدنا عليه احد ؟!

فأجابت باتريشيا :

- هذه مسألة تحتاج إلى الروية والتفكير .

فقطب هوبى حاجبيه .

كان التفكير وعصر الذهن . . هو اشق عمل يستطيع ان يضطلع به . . ولو كان التفكير ووضع الخطط فى بساطة اطلاق المسدس . لكان هوبى أعظم مفكر فى العالم .

قال :

- إن لوبين لم يكتف بان اسند إلى تهمة الاشتغال بالصحافة بل تركنى فى موضع يحير مراسل (التيمس) نفسه .

ولوبين قد يغيب أسبوعا أو أكثر . وقد لانرى وجهه بعد الآن فما العمل إذا انتشرت رائحة وايسمان ؟

وأخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابا .

كان منذ ساعتين مخلوقا محترما يعتبر نفسه أسعد انسان على سطح الأرض . أما الآن فانه يشعر بأن جميع سجون النمسا وألمانيا وبافاريا تنتظر تشريفه باسرع مايمكن .

قال محدثا باتريشيا :

- سأترك لك مهمة التفكير فى مخرج من هذا المأزق . ريثما افتش وايسمان . عسى أن أجد معه مايفيدنا .

« • »

وبدأ مهمة التفتيش فعثر فى جيوب القتيل على رسالتين بعنوان (هنريخ وايسمان) فندق (دوم) بشارع مونبارناس بباريس ، ولم يجد فى مضمون الرسالتين مايهمه ، وعثر على نصف تذكرة سفر من (زيوريخ) إلى (ميلانو) . وقائمة حساب عليها اسم فندق بمدينة (باسل)

قال هوبى محدثا باتريشيا :

- هذه الاوراق تدل دلالة واضحة على أن الرجل بذل قصارى جهده لتضليل مطارديه ؛ بيد انها لا ترشدنا إلى أى شيء آخر .

فسألته باتريشيا وهى تشير إلى كلمات كتبت بالقلم الرصاص على غلاف احدى الرسائل :

- ما هذه الكلمات ؟

فقرأ هوبى :

« غرفة رقم ١٢ فندق كونجز هوف »

واستطرد هوبي :

ـ يا إلهي ، يخيل إلى ان وايسمان كان يزمع النزول فى هذا الفندق

فهتفت باتريشيا :

ـ هذه فى الحق مصادفة عجيبة . فقال هوبي :

ـ من المحتمل جدا أن تكون الغرفة رقم ١٢ بهذا الفندق هى المكان الذى تقرر ان يتقابل فيه وايسمان مع الشخص الذى سيتسلم منه الصندوق ولست أرى فى ذلك شيئا من الغرابة . فهذا الفندق هو أخر فنادق المدينة ، وقد جرت عادة رؤساء العصابات الممتازين أن ...

وكف فجأة عن الكلام . وظهرت على وجهه علامات التفكير . استطرد :

ـ لنفترض ان زعيم العصابة ينتظر الآن فى الغرفة رقم ١٢.

فصاحت باتريشيا :

ـ لابد ان يكون الأمر كذلك ، اللهم الا إذا كان هذا العنوان خدعة أريد بها تضليل رجال البوليس - ومهما يكن من أمر فان فى استطاعتنا ان نتحقق ، فالغرفة رقم ١٢ تقع فى الطابق الأول وعندما جئنا إلى هنا عرض علينا مدير الفندق الغرفة رقم ١١ ولكن لوبين رفضها وطلب الغرفة رقم ١٢ لأن بها سلما خاصا للفرار من خطر الحريق . وقد قيل لنا يومئذ ان الغرفة محجوزة .

فقال هوبي :

ـ إذا صح ذلك . وجب أن نتوقع فى كل لحظة أن يهاجمنا نفر

من رجال العصابة .

فقالت باتريشيا :

ــ دعنى أتحقق من محتويات الغرفة رقم ١٢ . ان فى الاستطاعة الوصول اليها بواسطة سلم الحريق دون ان تثير ريبة احد .

فقال هوبي :

ــ انت تخاطرين .. ولوبين لن يغفر لى اذا انا تركتك تعرضين نفسك للخطر . سأذهب بنفسى لزيارة الغرفة رقم ١٢.

(٥)

وخرج هوبي الى الحديقة . وبحث عن سلم الحريق حتى وجده . فأخذ يرقاه الى الطابق الاول . وهو يتوهم من فرط جزعه ان وقع خطواته على السلم تهز الفندق هزا . وان ثيابه تحدث ضجة تصم الآذان !!

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام .. فلما وصل الي الطابق الاول نظر من خلال أول نافذة صادفته واستطاع أن يتبين فراشا .

ووقف وهو لاهث الانفاس .وفكر فى الأمر طويلا . ثم فتح النافذة. وتسلل منها الى الداخل . وشهر مسدسه وأضاء النور .

* * *

وعاد هوبي الى باتريشيا بعد بضع دقائق . قال لها :

ـ اؤكد لك انى لاأستطيع ان أفهم شيئا مما يقع حولنا الليلة . ولكن يخيل الى ان العصفور قد طار من الغرفة رقم ١٢ .. وطار

بسرعة .. بدليل انه ترك رداءه وقبعته ورباط عنقه .

فحملقت باتريشيا فى وجهه ثم قالت :

ـ من المحتمل ان يكون فى قاعة الاستحمام .

ـ كلا . اللهم الا إذا كان فى نيته أن يقضي الليل كله فى الحمام . لقد كان باب غرفته مغلقا . والمفتاح فوق مائدة بالقرب من الفراش .

فتهالكت باتريشيا على أحد المقاعد . وقطبت جبينها .

كان الموقف يحتاج إلى بعض التفكير .

قالت :

ـ هناك أمر واضح جلى . هو أننا اذ اخلدنا الى السكينة ولم نعمل شيئا كنا لمن يسعى الى السجن . وربما الي المشنقة .

فأجاب هوبي :

ـ اصغى الى ياباتريشيا . اننا بين نارين او اكثر . وقد أوجدنا لأنفسنا فى خلال ساعتين اعداء اقوياء . ورجال البوليس فى مقدمة هؤلاء الاعداء . والرأى عندى ان الطريقة الوحيدة للخلاص من هذا المأزق هى الفرار بأسرع مايمكن . فترى ماذا يقول لوبين اذا فررنا ؟

فاجابت باتريشيا :

ـ اعتقد أنه يوافق عليها ، بشرط الا نترك وراءنا اى اثر يطلق رجال البوليس فى اثرنا .

ـ هذا صحيح وفى اعتقادى ان الاثر الوحيد الذى يجوز أن تؤخذ به . هو تلك الجثة المسجاة فى الغرفة المجاورة . فمها يكن من

أمر فاننا نستطيع ان نترك هذه الجثة الميتة حيث هى الآن . وما دمنا نعرف المكان الذى كان يقصد اليه القتيل . وما دام الطريق خلوا امامنا . فلماذا لانساعده على الوصول الى غرضه ؟؟

فنظرت اليه باتريشيا مفكرة وقالت :

ـ تعنى اننا نحمل الجثة الى الغرفة رقم ١٢ ؟؟

ـ نعم .. ننقل الجثة الى هناك ونترك للعصابة التى ينتمى اليها هذا الشقى ان تفعل الباقى . وتتصرف كما يروقها .. اذا ماالذى فعلناه لكى نحمل عنها همومها ومتاعبها ؟

فقالت باتريشيا :

ـ وماذا تفعل بهذا الاسير ؟

وأشارت الي الرجل الموثق اليدين والقدمين .

قال هوبي :

ـ من رأيى ان نتركه حيث هو ، ونضع بالقرب منه سكينا او خنجراً ليستعين به على الفكاك من قيوده وفى اعتقادى أنه اذا استطاع الخلاص ، او انقذه خدم الفندق ، فأنه سيلزم جانب الصمت والكتمان لسبب واحد بسيط هو انه لا يستطيع تبرير وجوده هنا ، وايضاح الاسباب التى حملته على التسلل الي غرفتنا تحت جنح الظلام .

« ٥ »

كانت الخطة معقولة وممكنة التنفيذ ، وقد فكرت باتريشيا فيها مليا ولم تجد ما يستوجب تعديلها او العدول عنها ، يضاف الى ذلك انها

كانت تشعر بان كل دقيقة تمر من شأنها ان تضاعف الخطر.

وهكذا حمل هوبى بريجز جثة وايسمان ، وصعد بها سلم الحريق ودخل من نافذة الغرفة رقم ١٢ ، ومدد الجثة هناك على الفراش وعاد ادراجه

« • »

اخذ يهبط السلم فى هدوء وسكينة

ولكنه ما كاد يصل الى الدرجة الاخيرة ، حتى تبين شبحاً يتحرك امامه ، سمع صوتاً يقول بالالمانية :

ـ من هذا ؟

فشعر هوبى بقلبه يكف عن الحركة ، وخيل اليه ان قدميه قد سمرتا فى مكانهما .

وفجأة اضاء المتكلم مصباحا كهربائياً ، وسلط ضوءه القوى على وجه هوبى ، وهتف بعد صمت قصير :

ـ يا إلهى ، الرجل الذى قذف بنا فى النهر .

« • »

سمع هوبى هذه العبارة وفهم معناها . وقرر فى الحال أن المسألة معناها الضياع . فجمع كل قوته ، وانقض على الرجل بلكمة هائلة القته على الأرض فاقد الرشد كأنه كتلة من الخشب .

وحمل هوبى جسم الرجل على كتفه . ونفذ به إلى باتريشيا وهو يبتسم .

قال لها :

ـ إننا نشطنا فى الوقت المناسب ، فهذا الفندق أصبح خطراً على صحتنا .

فنظرت إليه الفتاة وهى مدهوشة . وهتفت :

ـ من هذا..وأين وجدته؟!

ـ إننى وجدته فى انتظارى بأسفل سلم الحريق . وهو أحد أولئك الأبطال الذين قذفنا بهم فى الماء وأعتقد أننى أستطيع أتخيل ماحدث لرجال البوليس الذين تعقبوا وايسمان كانوا على علم بأنه يقصد إلى هذا الفندق ، كما كانوا يعلمون بوجود شريكه أو زعيمه فى الغرفة رقم ١٢ فلما خرجوا من النهر قصدوا إلى إدارة الشرطة وأبلغوا جهة الاختصاص ما اتفق لهم ، ثم إستبدلوا ثيابهم المبللة بثياب اخرى إستعاروها ، بدليل أن هذا الرجل يرتدى ثوبا أوسع وأكبر كثيراً من حجمه .

فقالت باتريشيا :

ـ ولكننا قابلنا على الجسر رجلين آخرين غير هذا .

فأجاب هوبي وهو مزهو فخور بأن إستدلالاته وإستنتاجاته تنطبق على الواقع وترشحه لأن يكون شرلوك هولمز زمانه :

ـ من المؤكد أن زميلى هذا الرجل قد إنطلقا للتفاهم مع مدير الفندق تمهيدا لمهاجمة الغرفة رقم ١٢ . وتركا هذا الحيوان فى الحديقة لمراقبة النوافذ ومنع العصفور من أن يطير .

فأشعلت باتريشيا لفافة تبغ وقالت وهى تشير إلى الشرطى الفاقد الرشد :

- إذا كان الثوب فضفاضا وواسعا على هذا الشرطى . فانه من المحتمل أن يلائم جسمك إذا أنت أرتديته .

فرفع هوبى حاجبيه فى دهشة .. ثم عاد فقطب جبينه . وفكر واعجبه هذا الرأى . فقال :

- هل كان لوبين يفعل هذا لو انه فى موقفى ؟

فأطرقت باتريشيا برأسها واجابت :

- طبعا .. هذه هى الوسيلة الوحيدة للافلات والفرار .

فلم ينتظر هوبى اكثر من ذلك .. وانحنى فوق الشرطى وجرده من ثيابه .. وارتداها .. وما كاد يودع ثيابه الاولى بنظرة أسف . حتى سمع رنين جرس التليفون .

هتف هوبى محدثا باتريشيا .

- إذا كان هو لوبين . فقولى له انه شيطان رجيم . وأن فى نيتى مقاطعته حتى لا يضعنى فى مثل هذه المآزق بعد الآن .

اما باتريشيا فانها أسرعت الى جهاز التليفون . وتناولت السماعة وهتفت :

- آلو . لوبين. نعم . أنا باتريشيا . ماذا فعلت ؟ وأين أنت الآن ؟ يجب أن تعلم . فرجال البوليس الذين قذفت بهم فى النهر هم هنا الآن فى الفندق .

الفصل الرابع

ذهاب وإياب

لكن لوبين فوق الباب حتى رأى سيارة الأرشيدوق تمر تحته . فوثب عليها بسرعة البرق وانبطح فوق سطحها كما فعل فى رحلته المجانية من الفندق إلى قصر الأرشيدوق .

وراقه ان يعود على سطح سيارة الأرشيدوق كما جاء . ولذت له ما تنطوى عليه هذه المغامرة من فكاهة وطرافة .

وقد خطر له هذا الخاطر وهو يتحدث الى هوبي بالتليفون. ويضرب له موعدا لمقابلته فى الطريق المؤدى الى مدينة (ينباخ) . فلما أغلق الباب على الأرشيدوق وفريتز عرج على غرفة مجاورة . ووثب من نافذتها الى المقصورة . وسار على الأفريز حتى وصل الى قمة الباب . فكمن هناك حتى مرت السيارة تحته فوثب فوقها .

كان يعلم أن الأرشيدوق . ذلك الشاق الداهية الذى لايعرف للشفقة معنى لابد أن يسرع فى أثره فى الطريق إلى ينباخ لكى يقطع عليه سبيل الفرار . ويلحق به قبل ان يجتمع بهوبى وباتريشيا . ولذلك قرر ان افضل وسيلة للاجتماع بصاحبيه بأسرع مايمكن هى ان يرافق الأرشيدوق فى سيارته .

. . .

وانطلقت السيارة بمن فيها تسابق الريح . ولولا اهتزازها بعنف زلزل اسماعه لوبين . لقهقهة هذا الأخير بصوت مرتفع لطرافة الدعابة .

وسمع لوبين الأرشيدوق وهو يصيح بالسائق

ـ اسرع . اسرع ايها الحيوان.. يجب ان نلحق به.. انه انطلق فى سيارة بطيئة . ولـكن الظاهر انه يسوقها كالأبالسة .

وتعلق لوبين بحافة السيارة . ونظر الى داخلها . فرأى الأرشيدوق يتحرك فى مكانه وينقر بأصابعه فى قلق .

كان وجهه الممتقع المتقلص يختلف كل الاختلاف عن ذلك الوجه الهادىء الصارم الذى اعتاد لوبين ان يراه .

• • •

وترك لوبين السيارة تنطلق به بسرعة ستين ميلا فى الساعة . وراح يفكر فى الموقف بجملته .

لاشك انه عليه فى الساعات الأخيرة حنق رجال البوليس فى اوروبا الوسطى جميعا .. وان شمس الصباح لا تـكاد تبزغ . حتى يكون رجال البوليس فى جميع انحاء النمسا والمانيـا وبافاريا قد عرفوا اوصافه هو وزميليه . وتلقوا الأوامر المشددة باعتقالهم احياء او اموات .

بيد أن هذه لم تـكن أول مرة تحشد فيها دولة أو أكثر كل شرطتها لمطاردته .

(٥)

وأرسل لوبين بصره فى الطريق أمامه .

كان يتوقع أن يرى سيارة هوبى فى أية لحظة . اللهم إلا إذا كانت هذه السيارة قد آثرت أن تتحطم . وفضلت العطل على إجتياز تلك

الطريق الصخرية الوعرة المليئة بالمرتفعات والمنخفضات .

وفجأة . لاحت للوبين أنوار سيارة مقبلة . فادرك أنها سيارة هوبى ورأى أن ساعة العمل قد حانت . فأخرج مسدسه من جيبه . وتدلى فوق سطح السيارة بقدر ما استطاع وصوب المسدس على اطار إحدى العجلتين الخلفيتين . واطلقه .

إنفجر إطار العجلة . وأحدث الانفجار دويا امتزج بدوى الرصاص وتسكعت السيارة فى سيرها . وأبطأ بها السائق تمهيداً للوقوف فانتهز لوبين هذه الفرصة ووثب إلى الأرض . وتوارى فى دغل على جانب الطريق .

(٥)

ووقفت السيارة أخيراً . وهبط منها السائق . وفحص الاطار الذى إنفجر . ثم قال للارشيدوق بصوت سمعه لوبين :

ـ لابد أن السيارة مرت فوق أداة حادة مدببة يامولاى . فقد إنفجر إطار إحدى العجلتين الخلفيتين .

وهبط الأرشيدوق من السيارة بدوره . وفحص العجلة . ووقف صامتاً ساكنا لايبدى حراكا .

وكان هدوء الرجل فى ذلك الموقف دليلا جديداً على قوة أعصابه وسيطرته على مشاعره ، ولو اتفق لغيره ما إتفق له فى هذه الظروف لأرغى وازبد وسب وشتم .

بيد أن الأرشيدق لم يفعل شيئا من ذلك ، وكان سكونه مخيفاً .

قال أخيرا بصوت طبيعي هادىء :

— إستبدل العجلة بسواها.

(٠)

وهنا قرر لوبين أن الموقف محزن ومؤلم وان من الانصاف أن يخالطه شيء من الدعابة . فخرج من مكمنه ومسدسه في يده وسعل .

وتحول اليه الرجلان في الحال كالويكونان قدأصيبا بطعنه خنجر.

قال لوبين وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

— ما أغرب هذا ؟ أليس عجيبا أن نتقابل في كل مكان تقصد اليـه ؟

اذا تـكررت هذه الصدفة . فانك لن تشك لحظة فى انى أتعقبك. أليس كذلك ياسيدى الأرشيدوق ؟

(٠)

كانت مفاجأة قاسية . أزعجت الأرشيدوق وهزت أعصابه.ومع ذلك فان ملامحه لم تفضح شعوره ، وظلت تقاطيع وجهـه محتفظة بصرامتها وقساوتها.

قال :

— لا أعلم كيف مررنا بك دون أن نراك يامسيو لوبين ، هـل تعطلت سيارتك كما تعطلت سيارتنا ؟

فأجاب لوبين وهو يبتسم :

— ان سيارتي هي سيارتك ياسيدى الأرشيدوق . والواقع،انى

انتقلت بها معك فى الذهاب والأوبة ، ولم يـكن ينقصنى فى رحلتي المجانية الطريفة سوى وسادة وثيرة ، لأن سقف سيارتك يستمتع بنوع من الصلابة التي تؤذى عظام الجسم .

فهتف الأرشيدوق وقد ضاقت عيناه ، وأنبعثت منهما نظرة نارية مخيفة :

ـ آه ، هل أفهم من كلامك انك كنت معنا طول الوقت ؟

فاجاب لوبين وهو يبتسم :

ـ أرى انك فهمت ، ولـكن بعد فوات الوقت ، والآن ارجو ان ترفع ساعديك وتسمح لى بالاستيلاء على مسدسك ، فان فى عينيك نظرة لاتعجبنى ، وأخشي أن تقدم فى اية لحظة على عمل من اعمال الحمق

وجرد لوبين الأرشيدوق من مسدسه ، وفعل بالسائق مثل ذلك ثم استند بساعده على جدار السيارة الفاخرة ، وراح ينظر الى الرجلين فى سخرية .

قال لوبين :

ـ هذه ليلة جديرة بأن توصف بانها من الليالى الخالدة ، الحافلة بالنشاط والحركة .

لقد ضاع علينا شيء من النوم والراحة،ولـكن المفاجآت انعشتنا أكثر من الراحة .

ثم نقر باصابعه على الصندوق الصغير ، وكان يحمله تحت إبطه الأيسر :

- هل تريدنى على ان ارسل إليك قائمة بمحتويات هذا الصندوق وثمن كل قطعة فيه ؟ سأفعل ذلك فى اول فرصة فربما كان فى نيتك ان تبتاع قطعة من الغنيمة للاحتفاظ بها على سبيل الذكرى .

فحملق إليه الأرشيدوق فى صمت وسكون . ثم ابتسم بدوره وقال:

- انك انتصرت يا مسيو لوبين فدعنى اهنئك .

وظهرت على وجهه علامات التردد لحظة ، ثم مد يده إلى جيب فى صدريته : واخرج علبة صغيرة من جلد التمساح . وقال :

- هل لك فى لفافة تبغ من لفافاتى ؟ ثم ابتسم واردف :

- اخشي ان تعتقد بانى اريد رشوتك .

ومد يده بعلبة التبغ واستطرد :

- انى رجل لا اقابل الهزيمة بالغضب ، وهذا الفشل الذى منيت به ليس من شأنه ان يحيل شعورى نحوك الى بغض وكراهة.

فنظر لوبين الي علبة التبغ ، ثم الي وجه الأرشيدوق:

وفجأة ، ودون ان يتمكن من حماية نفسه ، انطلق من علبة التبغ المزعومة سيل رفيع من سائل (النوشادر) فاصاب عينيه ووجهه وشعر لوبين فى الحال كأن النار تشتعل فى عينيه ، وامتلأت رئتاه بخار (النوشادر) فترنح فى مكانه ، وكانت وسيلته الوحيدة للتعبير عن الآلام الهائلة التي يشعر بها فى عينيه انه اطلق المسدس مرتين ولكن علي غير هدى .

ولم يمكنه خصمه العنيد من استخدام المسدس بعد ذلك لأنه هجم

عليه ، وانتزعه منه .

وشعر لوبين فى ذات الوقت بساعدين قويين يحيطان به من الخلف ويلقيان به ارضا ، ثم احس بأصابع كالكلابات تطبق على عنقه ، وتكاد ان تزهق روحه .

ولم يحاول لوبين عن نفسه دفاعا ، فقد كان الألم يشل حركته . ورائحة النوشادر تملأ صدره وتضايقه ، فما لبث ان احس بالدم يزأر فى اذنيه ، وبالأرض تميد تحت جسده .

(٥)

قال الأرشيدوق بصوت خيل للوبين انه صادر من عالم آخر :

- كفى يا لودفيج ، هذا يكفى .

وفى الحال ، ارتفعت الأصابع التى كانت تضغط عنق لوبين ، وشعر هذا الأخير بالنسيم يملأ رئتيه ، فأخذ يتقلب على الأرض ، ويداه فوق عينيه الملتهبتين .

وتكلم الأرشيدوق مرة اخرى يحدث لوبين :

- لقد الجأتنى الضرورة إلى مافعلت ايها الصديق العزيز . فانى لم اكن اشعر بالارتياح إلى الموقف الذى اوقفتنيه .

ولكن ارجو ان تكون آلامك وقتية .

فلم يجب لوبين ، واخذ صدره يعلو ويهبط بسرعة .

واشعل الارشيدوق عود ثقاب ، واستطاع لوبين ان يتبين ضوء الثقاب رغم الحلقات النارية التى كانت تتراءى له كلما فتح عينيه .

قال الارشيدوق :

ــ اعتقد ان من الأفضل ان تجلس فى سيارتى . فان وجودك على الأرض بهذه الحالة من شأنه ان يثير فضول الناس .

وتبينه لوبين وهو يدخن فى هدوء وطمأنينة .

ولم يكد الأرشيدوق يفرغ من كلامه . حتى اقترب السائق من لوبين واجتذبه وطرحه فى السيارة .

ولم يبد لوبين اية مقاومة .

كان من العبث ان يضيع قوته وجهوده هباء ، وهو اعزل من السلاح ونصف أعمى .

جلس فى ركن السيارة ، وشعر بالأرشيدوق وهو يجلس بجواره واحس بفوهة مسدس تلتصق بجنبه .

فتح لوبين احدى عينيه الدامعتين ، وتبين انوار السيارة المقبلة .

كانت قد اقتربت بسرعة .

غمغم الارشيدوق :

ــ اظن انى لست بحاجة لأن اذكرك بما قد يحدث إذا حاولت ان تلفت اليك انظار القادمين فى هذه السيارة .

فلزم لوبين الصمت ؟

« . »

واقتربت السيارة ، وارسلت ضوءها الساطع على الطريق فشمل سيارة الأرشيدوق .

ولم يكن هناك ما يثير الريبة حول سيارة الأرشيدوق ، فقد كان الناظر اليها يرى فيها شخصين وادعين جالسين جلسة الأصدقاء فى انتظار ان يفرغ السائق من استبدال العجلة التى انفجرت ليستأنفا رحلتهما .

« . »

وعلى الرغم من ان منظر سيارة معطلة فى عرض الطريق هو من المناظر المألوفة ، فان السيارة المقبلة اخذت تبطىء فى سيرها ، ثم وقفت على بعد بضعة امتار من سيارة الأرشيدوق .

وهنا نظر الأرشيدوق الى لوبين مرة أخرى . وارسل من فمه سحابة من الدخان ، وقال بصوت خافت :

ــ اذا كان القادم فى السيارة هو صديقك . فان من الخير لصحتك وسلامتها ان تفكر مرتين قبل ان تأتى بحركة او تنطق بحرف ..

وفى هذه اللحظة ، فتح باب السيارة القادمة ، وهبط منها شخص سار فى الظلام بضع خطوات ، حتى بلغ إلى المنطقة التى تنيرها مصابيح سيارة الأرشيدوق ، وعندئذ تبين لوبين والارشيدوق ان القادم يرتدى ثياب الشرطة ، على انهما لم يريا وجهه فى الظلام ، لأن الضوء كان يشمله حتى صدره .

واقترب الشرطى من سيارة الارشيدوق ، وفتح بابها ونظر إلى من فيها ، ثم قال بالألمانية محدثا الارشيدوق:

- عفوا ياسيدى! هل تعرف هذا الرجل الذى يجلس بجوارك؟

« ٠ »

لم تتحرك عضلة واحدة فى وجه لوبين .. رغم ان قلبه كان يركض بين جنبيه .

ذلك انه عرف صوت الشرطى .

نعم .. كان يستحيل عليه الا يعرف صوت هوبي بريجز رغم رطانته الالمانية !!

اما الارشيدوق . فقد مرت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

- انى لااستطيع ان اقول ان هذا الرجل من اصدقائي .

- مااسمك ياسيدى ؟

فأخرج الارشيدوق حافظة اوراقه من جيبه وتناول منها بطاقة قدمها الى هوبى . فحملها هذا وابتعد بها قليلا ليتمكن من قراءتها على ضوء مصباح السيارة ، ثم مالبث ان عاد مسرعا وهتف وهو يؤدى التحية العسكرية :

- ارجو المعذرة ياصاحب السمو . ان سموكم لا تعرفون بغير شك حقيقة الرجل الذى يرافقكم .

فقال الارشيدوق ببساطة :

- بودى ان اعرف المزيد عنه .

فقال هو بلهجة صارمة :

- انه لص فرنسى مشهور باسم ارسين لوبين ، وقد فر من بلاده

منذ بضعة اسابيع ، وقد ارتكب الليلة عدة جرائم ، ابسطها انه قذف فى النهر بثلاثة من زملائى .

فصمت الارشيدوق لحظة قصيرة ثم هز كتفيه وابرز المسدس الذى يخفيه فى جنب لوبين وقال بهدوء :

- ذلك لايدهشنى ، والواقع انه حاول كذلك ان يسرقنى .

واشار الى الصندوق الفولاذى الذى كان بجانبه واستطرد :

- هذا الصندوق يحتوى على طائفة من التحف العائلية ، وكان من الطبيعى ان تجتذب هذه التحف الثمينة لصا خطيرا من طراز هذا الشقى . على انه من حسن الحظ انى وسائق سيارتى قد استطعنا التغلب عليه واعتقاله ، وكان فى نيتنا ان نذهب الى اقرب مركز للبوليس . ولكنى ارجو ان توفر انت علينا هذا العناء ، وتكفينا مؤونة هذه المهمة .

« ٠ »

ولم يسع لوبين الا الاعجاب فيما بينه وبين نفسه بالمهارة التى ابداها الارشيدوق فى تمثيل دوره وتأييد دعواه بصوته الهادىء وصراحته وحركاته العادية الخالية من كل تصنع .

وهنا أدى هوبي بريجز التحية العسكرية باحترام عظيم .

كان لوبين يعلم الشيء الكثير عن براعته فى اطلاق الرصاص ولكنه لم يكن يعرف قبل تلك اللحظة انه ممثل بارع بقدر ماهو مجرم خطير

قال هوبى :

- سيكون من دواعى غبطتى ان اخلص سموكم من المتاعب

ولم يشأ لوبين ان يكون اقل براعة من الأرشيدوق وهوبي فرفع رأسه إلى الأمام وصاح محتجا :

ـ كل هذا كذب ، ان سمو الأرشيدوق يحاول ان يسرقني ، فهذا الصندوق ملك لي . وفى استطاعتى أن أذهب بك إلى قصر سموه لترى هناك ما ...

فصاح الشرطى المزيف بصوت كالرعد :

ـ صه ، إننى لا أسمح لك باهانة سمو الأرشيدوق.

ثم التفت إلى الأرشيدوق واستطرد :

ـ إنه لن يزعج سموكم بعد الآن .

فأخرج الأرشيدوق من حافظته ورقتين ماليتين قدمهما الي الشرطى وقال :

ـ أرجو ألا تنسى أننى أكره أن تذكر الصحف إسمى ، أو يتحدث الناس عنى .

فأحنى الشرطى رأسه باحترام عظيم . وقال :

ـ لقد فهمت ، أن اسم سموكم لن يذكر . إننى فخور باننى استطعت معاونة سموكم .

ثم التفت إلي لوبين فصاح :

ـ أخرج أيها الشقى .

فصاح لوبين فى يأس :

ـ إصغ الي بحق السماء . ألا تريد أن تفهم بأنك إذا تركت الأرشيدوق

يذهب فى سبيله . فاننى لا يمكن أن أرى صندوقى بعد الآن . يجب على الأقل ان يرافقنا الى مركز البوليس لكى يتمكن من إثبات ملكية الصندوق .

فقاطعه هوبي :

ـ إننى أعرف من هو صاحب الصندوق ، ومقتنع بكلام سمو الأرشيدوق .

فجمع لوبين قبضة يده ولوح بها فى وجه الشرطى وهو يصيح :

ـ إننى أطالب بحق ، ولا يمكن ان أنتقل من هنا بدون الصندوق لقد جازفت بكل شيء فى سبيل الاحتفاظ به .

فأجاب الشرطى:

ـ هذا الصندوق لن يفيدك فى السجن ، هل تريد الخروج من السيارة ، أو اخرجك قسراً ؟

ـ إننى أرفض .

ولم يتم لوبين عبارته ، لأنه رأى مسدس الشرطى مصوبا إليه.

صاح الشرطى :

ـ اخرج .

فأتى لوبين بحركة سريعة وأمسك بساعد الشرطى ، واطبق عليه .

وهنا أسرع سائق السيارة إلى نجدة الشرطى ، وبعد نضال قصير تغلب الرجلان على لوبين ووضع هوبي الأصفاد الحديدية فى معصميه وذهب به إلى سيارته ، فأجلسه بجانبه ، ثم اطلق العنان للسيارة .

واجتازت السيارة ميلا او بعض ميل قبل ان يفوه لوبين بكلمة.

وكانت اول عبارة نطق بها هى قوله :

ـ واها لك يا هوبى ، لماذا لا تذهب إلى هوليوود وتشتغل بالتمثيل السينمائى .

فقال هوبي ساخطا ، وقد هدت حوادث الليلة أعصابه وقواه :

ـ وأنت . لماذا لاتذهب إلى بيتك وتشنق نفسك ؟ إننى فى الحق لا أعلم كيف انهم لم يقبضوا عليك . ويرسلوا بك إلى السجن عندما سرقت اول فرنك إستوليت عليه فى حياتك .

انك تلقى بنفسك فى شر المآزق ، وتنتظر منى ان انقذك .

وهنا اطلت باتريشيا برأسها . بعد ان ظلت زهاء الساعة مختبئة فى جوف السيارة ، وقالت محدثة لوبين :

ـ ما قولك الآن فى هوبى . الم يقم بدوره خير قيام ؟

فصاح لوبين :

ـ انه كان عظيما ، إننى افكر فى ان اتلقى على يديه درساً فى التمثيل .

فقال هوبى بمرارة :

ـ وأنا أفكر فى أن أتلقى على يديك درسافى توريط الناس الهادئين الوادعين فى شر المآزق ، والأخطار.

فصاح لوبين :

ـ وماقيمة الأخطار إذا قيست بالغنيمة أيها الأبله ؟

ـ الغنيمة ؟ وأين هى هذه الغنيمة ؟. أنك قضيت ليلتك كلهافى مطاردة ذلك الصندوق الصغير ومحاولة الاستيلاء عليه ، ولكنى واثق تمام الوثوق من أنك مازلت أجهل بمحتوياته منى .

فغاص لوبين فى مقعده بارتياح وقال فى هدوء :

ـ فى استطاعتى أن أحدثك عن محتويات هذا الصندوق ياهوبى .. إننى نظرت إلى جوفه عندما فتح ..

إن هذا الصندوق الصغير الذى لايملأ عينيك الفارغتين يحتوى على مجوهرات تاج ملك بافاريا ، وقد فكرت الحكومة البافارية بالاتفاق مع جلالة الملك ميشيل ملك بافاريا فى بيع هذه المجوهرات لمصلحة خزانة الدولة ، وأرسلت المجوهرات فعلا إلى باريس ،ولكنها إختفت فى الطريق منذ ستة أسابيع ، وقد فكرت شخصيا فى القيام بمحاولة للاستيلاء على هذه المجوهرات قبل وصولها إلى باريس وليتنى فعلت ، فان اقتناص هذه الغنيمة الثمينة لم يكن فى الواقع يكلفنا شيئا من الجهد .

فهز هوبي كتفيه وقال :

ـ اننى لاأفيد من هذه المجوهرات ، ولاأريدها ، لأننى أضربت عن تزيين رأسي بالتيجان .

ثم استطرد بعد صمت قصير :

ـ أن مايجب أن تحمد الله عليه ، هو جلوسك الآن بجانبى ورأسك بين كتفيك .

فتنهد لوبين وقال :

- إذا كنت زاهــد فى نصيبك من الغنيمة . . فذلك من حسن حظي . . .

- ماذا تعنى ؟

فلم تجبه لوبين ، ومضى يقول بلهجة المفـكر الحالم :

- ليس أعجب من الأخطار التافهة التى يتورط فيها الأذكياء ، لقد إطمأن رودلف العزيز حين رأى الصندوق مغلقا ، وظن أنه قد إسترد الغنيمة ، وأنا واثق أنه منطلق الآن بسرعة البرق فى الطريق إلى قصره ليرغم كراوس علي فتح الصندوق مرة اخرى .

قال ذلك ودس يده فى جيبه ، واخرجها ، فاذا فيها شى ماكاد يقع عليه بصر هوبى ، حتى اوشكت عجلة القيادة ان تفلت من بين يديه .

الفصل الخامس

مفاجآت

ماكاد هوبي يرى الجوهرات تتلألأ بين يدى لوبين ، حتى اوقف السيارة على جانب الطريق وقال بصوت ينم عن دهشته وحيرته :

- تـكلم واوضح ، هل تريد ان تقول انك استوليت عــلى الغنيمة كلها ؟.

- تلك هى الحقيقة ياعزيزى هوبى .

- وهل افهم من كلامك ان الأرشيدوق فاز بصندوق فارغ ؟

- ذلك هو الواقع .

- ومعنى ذلك انك لم تقنع بأن اثرت علينا غضب رجال البوليس وعصابة وايسمان ، فعملت على اغضاب الأرشيدوق رودلف .

فقال لوبين وهو يبتسم :

- بل هناك شخص آخر يجب ان نحسب له حسابا اكثر من رجال البوليس ، والأرشيدوق رودلف .

- ومن هو هذا الجبار الجديد ؟

- انه الهر كراوس ، الذى اعتقد انه وضع خطة للسطو على مجوهرات التاج ، وانفذها بمساعدة اعوانه ، او على الأقل بمساعدة شريكه وايسمان .

وقد تركت هذا الرجل فى قصر الأرشيدوق فى حالة يستطيــع معها الفرار إذا شاء ، وانا واثق انه إنتهز فرصة إشتغال الأرشيدوق واتباعه بمطاردتي ، فأطلق ساقيه للريح .

« • »

وهنا وجد لوبين لزاما عليه ان يوضح لصديقيه ماحدث ، فقص عليها مااتفق له منذ ان تركها ، وسردت باتريشيا تفاصيل ماوقع فى الفندق بعد رحيله ، ولم يكن لوبين بحاجة إلى كثير من التفـكير ليدرك ان الشخص الذى اختفى او اختطف من الغرفة رقم ١٢ اى الشخص الذى كان وايسمان على موعد معه فى تلك الغرفة ، هو كراوس بعينه.

وضحك لوبين وقال :

- هذه أبدع أجازة قضيتها .

ولم يجد هوبى بريجز بدا بعد ذلك من أن يطلق العنان للسيارة ولم يفته أن يتلفت وراءه بين الفينة والفينة متوقعا ان يرى فى أثره سيارة أو اكثر من سيارات المطاردين .

قال لوبين وهو يجيل البصر حوله :

- ما اجمل المناظر الجبلية فى مثل هذه الساعة ؟

فقال هوبي وهو يعض علي شفتيه غيظا :

- ربما كان من الأفضل أن تفكر فى المكان الذى يجب أن تقصد اليه ، بدلا من إضاعة الوقت فى التغزل فى المناظر الطبيعية .

فأجاب لوبين ببساطة :

- وإلى أى مكان نقصد غير الحدود ! ؟ إن إجتياز الحدود هو أفضل خطة يلجأ اليها كل من ينظر بعين القلق إلى مستقبل العلاقات بينه وبين رجال البوليس .

أنت لاتعلم كم أحب رجال البوليس . ولكنى لاأرجو فى الوقت الحاضر أن أجتمع بهم .

« * »

وبدأ لوبين عمله فى مجوهرات التاج . بينما كانت السيارة تسابق الريح .

أخرج من جيبه أداة صغيرة ، وراح يستخدمها فى انتزاع قطع الماس والزمرد والياقوت من إطاراتها الذهبية ، وكان يفعل ذلك بمهارة

وخفة ، وكلما فرغ من إنتزاع قطعة من الأحجار ، ألقى باطارها الذهبي إلى عرض الطريق .

ووقعت بين يديه أخيراً ماسة زرقاء عظيمة ، كان يعلم أنها من أشهر الماسات فى أوروبا .

قال وهو يرفعها بين أصابعه ، ويتأمل زرقتها الصافية :

- ألم تسمع قط عن هذه الماسة ياهوبي ؟

فنظر هوبى إلى الماسة من طرف عينة ، ثم هز كتفيه بقلة إكتراث ولم يجب .

كان فى شغل بالأخطار التى تحدق به عن الاعجاب بالماسة البديعة التى فى يد لوبين .

قال لوبين :

- إنها ماسة « أولستاينباخ » وهى لاتقل فى شهرتها عن ماسة (اورلوف) . . وقد اهداها الامبراطور فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا الى الأرشيدوق ميشيل بمناسبة زواجه ، والأرشيدوق ميشيل هو الآن صاحب الجلالة ميشيل الأول ملك بافاريا .

واستمر لوبين ينتزع المجوهرات من اطاراتها الذهبية ، وينظر اليها باعجاب سطحى كما ينظر الجراح الى جسم المرأة الحسناء الممددة امامه على المشرحة .

لم يكن للماسات والأحجار الكريمة فى نظر لوبين اكثر من قيمتها المادية ، اما القيمة الفنية فكانت عنده فى الموضع الثاني ، ولولا ذلك

لما طاوعته نفسه بان يقذف الى عرض الطريق بالاطارات الذهبية الفنية الرائعة التى تحيط بالجوهرات ، والتى تدل كل قطعة فيها على دقة صناعتها والبراعة فى صياغتها .

ولما فرغ لوبين من عمله ، كانت قد اجتمعت فى منديله قبضة من الأحجار المتلألئة .

نظر خلفه فرأى باتريشيا تطل من فوق رأسه . وترقب يديه الماهرتين باعجاب .

سألته فى همس :

ـ كم يبلغ ثمن هذه اللآلىء ؟

فضحك لوبين واجاب :

ـ ان ثمنها يكفى لشراء حذاء انيق لك ، وقبعة مزركشة للصديق هوبى ، ويتبقى بعد هذا التبذير مبلغ من الجنيهات يمكن كتابته فى ستة ارقام . .

انها غنيمة بالحظ العريض .

قال ذلك وحزم المنديل ، ووضعه فى جيبه ، وجلس يتأمل جمال الطبيعه !!

« * »

كان هوبى هو الشخص الوحيد الذى لم يعجب باللآلىء ، لسبب واحد هو انه كان يجد خطرها اعظم من قيمتها .

قال محدثا لوبين :

ـ لو انك فقط ابقيت قطع التاج على حالها ولم تنتزع الماسات منها اذن لأمكننا عند الضرورة ان نقنع رجال البوليس باننا عثرنا بقطع التاج فى عرض الطريق وانه كان فى نيتنا ان نبلغ الأمر الى السلطات المختصة .

فهز لوبين رأسه وقال :

ـ لم يكن فى استطاعتنا ان نقول ذلك .

ـ لماذا ؟

ـ لأنه كذب.. وبعد ، فانى ارى من العبث ان نحسب حسابا للمتاعب لم تواجهنا بعد ، والرأى عندى ان تقتصد فى تفكيرك وحيلك الى ان ترى الخطر يحملق فى عينيك.

قال هوبى :

ـ اعتقد اننا اذا واصلنا السير بهذه السرعة ، فاننا نصل الى حدود هولندا قبل مساء غد ولكنى اعتقد ان الرحلة لن تكون بسيطة كما تتصور.

فأجاب لوبين .

ـ هذه حكمة نطق بها سليمان من قبل.. فدون الوصول الى الحدود خرط القتاد ، ولن تبزغ شمس الصباح حتى يكون رجال البوليس فى جميع انحاء اوروبا الوسطى قد عرفوا اوصافنا وتلقوا الأوامر باعتقالنا احياء او اموات . ان مغامراتنا لم تنته بعد ، فنحن فى الواقع مازلنا فى البداية.

فتنهد هوبي ولم يجب .

واستطرد لوبين وهو يضحك :

ـ دعني القى عليك درساً مجانيا في الاجرام ايها الغبي . ان كل انسان يستطيع ان يخدع رجال البوليس او يقذف بهم الى الماء وكل انسان يستطيع ان يختطف حفنه من الاحجار الكريمة ، واذا كان من المهم ان يستولى الانسان على الغنيمة ، فان اهم من ذلك ان يحتفظ بها الانسان ، ويفر بها .

واذن يجب ان تتأهب لمفاجآت أسوأ بكثير مما صادفت حتى الساعة .

واستمرت السيارة في سيرها . وعندما بزغت شمس الصباح ، كان الرفاق الثلاثة ينحدرون فوق جبال (بافاريا) في الطريق إلى مدينة « ميونيخ » .

ووصلت السيارة إلى ميونيخ والمدينة لا تزال تتثاءب .

وكان لوبين قد اغمض عينيه ، واستسلم لنوم هادىء سعيد ، كما لو لم يكن ضميره مثقلا بالأوزار .

وشعر هوبي بالحيرة في شوارع المدينة الضيقة المتعرجة . فأيقظ لوبين من نومه ، وأسلمه عجلة القيادة .

وما هي إلا دقائق حتى أوقف لوبين السيارة بالقرب من محطة الشرق ، وقال محدثا هوبي .

ـ أرى ان من الخطر على سلامتنا ان نلازم بعضنا بعضا ، وأن

يسير ثلاثتنا في شوارع المدينة جنبا إلى جنب .

فسأله هوبي :

ـ وماذا يجب ان افعل ؟؟

ـ إستأجر إحدى السيارات ، ومر السائق ان ينطلق بك إلي فندق (متروبول) ، إنه قريب من هنا ، وسوف نلتقي في الفندق .

« ٠ »

فأطاع هوبي ولكنه فضل ان ينطلق إلي الفندق سيراً على قدميه ، ولو قد تركت له حرية العمل والتصرف لماتردد في مواصلة السير ليبتعد عن مطارديه بقدر ما يستطيع .

وقد وجد لوبين وباتريشيا في انتظاره في الفندق ، فقصد لتوه إلى الغرفة التي احتجزها له لوبين ، وكان اول همه ان يغتسل . ثم أوى إلى فراشه ، والتف في الأغطية وما لبث ان غلبه التعب والجهود الجثمانية التي بذلها في الساعات الأخيرة ، فاستغرق في نوم عميق خلو من الأحلام ، كنوم الحيوانات او الأطفال .

« ٠ »

وكان من المحتمل ان ينام هوبي إلى ما شاء الله ، لولا ضجيج المركبات والسيارات والترام في الخارج ، فقد كانت حركة المرور تزلزل الفندق من اساسه ، وقد حاول هوبي ان يقاوم الضجيج ولكنه اعترف بالهزيمة حول الظهر فغادر الفراش آسفا ، وارتدى ثيابه ، وهبط إلي غرفة الطعام ، ليستعيض عن النوم في تنشيط قوته بشيء

من الطعام الفاخر .

وما كاد الخادم يضع الطعام امامه ، حتى دخل لوبين .

قال هذا الأخير وهو يضحك :

ـ نعم ، يجب ان تملأ بطنك بقدر ما تستطيع استعدادا لاستئناف السير.

فسأله هوبي :

ـ هل سرقت سيارة اخرى ؟ ولماذا قررت ان تترك السيارة الأولى فى عرض الطريق امام المحطة .

فأجاب لوبين وهو يبتسم :

ـ لقد كان من الحكمة ان نتخلص من السيارة الأولى باسرع ما يمكن ، لأنك سرقتها ، والسيارة المسروقة تلفت الأنظار ، وتثير الشبهات ، وتطلق وراءنا جحفل من رجال البوليس ، وليس اسهل من الايقاع باللصوص الذين يهربون فى سيارة مسروقة .

ـ إذن كيف نواصل الفرار ؟

ـ إننى قادم للتو واللحظة من محطة السكة الحديد ، وقد وقع اختيارى على القطار الذى يجب ان نرحل فيه .

فالتهم هوبى بيضة وسأل :

ـ واين باتريشيا ؟

ـ انها تناولت طعام الافطار فى الفراش ، واستغرقت فى النوم من جديد .

فهتف هوبي :

ـ لا بد انها اصيبت بالصمم ، فان من المستحيل على غير الصم ان يناموا نهاراً فى هذه المدينة .

ـ ولكن إلى اين سنرحل اليوم ؟

فأجاب لوبين :

ـ إلى كولونيا ، حيث يصنعون ماء الكولونيا .

واخرج من جيبه لفافة تبغ ، وهم باشعالها ، وعندئذ وقع بصره على مرآة مثبتة فى الجدار خلف هوبى ، وابصر فى المرآة رجلين يدخلان القاعة فى هدوء ، ويجيلان البصر حولهما .

رآهما لوبين ، وادرك من نظراتهما وحركاتهما ما لا يدركه سواه ، فاستطرد بصوت خافت ، معقبا على عبارته الأخيرة :

ـ نعم سنرحل إلى كولونيا ، هذا إذا رحلنا على الاطلاق .

فنظر إليه هوبى فى دهشة ، ووقفت البيضة فى حلقه .

« • »

اشعل لوبين لفافة التبغ واستغرق فى التفكير .

لم يكن متعذرا عليه ان يكتشف حقيقة الرجلين اللذين دخلا قاعة الطعام الخالية من الناس فى تلك المحطة ، فان رجلا مثله قضى السنوات الطويلة فى مناضلة القانون ، ومقاومة رجال البوليس ، كان من الطبيعى ان يشم رائحة غرمائه الأبديين كما يشم الكلب رائحة الصيد .

وإذن لم يكن لدى لوبين شك فى حقيقة الرجلين ، وهو إذا كان قد انصرف إلى التفكير فى تلك اللحظة ، فليس ذلك إلا رغبة منه فى معرفة سلسلة الآثار التى تركها وراءه دون ان يشعر ، وأدت إلى عثور رجال البوليس به فى تلك الفترة القصيرة من الوقت .

فكر فى أنه كان من الطبيعى ان يتحرك رجال البوليس فى إينزبروك بعد الحوادث العجيبة التى توالت هناك اثناء الليل . فهناك ثلاثة من رجال البوليس السرى ارغموا على الاستحمام فى النهر تحت جنح الظلام وهناك رجل قصير القامة كان فى إمكان رجال البوليس ان يلصقوا تهمة قتله بهوبى بريجز ، لأن ترك وراءه فى الفندق من الآثار مايجوز معه اتهامه بقتل وايسمان .

ثم هناك رجل البوليس الذى هاجمه هوبى بريجز وانتزع ثيابه ، والسيارة الكبيرة التى سرقها هوبى وفر بها لمقابلته .

وبديهى أن تكون اول خطوة يخطوها رجال البوليس فى (إينزبروك) أنهم يذيعون أوصاف الأصدقاء الثلاثة وأوصاف السيارة التى فروا بها .

وقد تركت هذه السيارة بالقرب من محطة (ميونيخ) . فعثر بها رجال البوليس . ولاحظوا فى الحال أنها السيارة المسروقة ، فراحوا يفتشون عن سارقها ، وكان من أبسط الأمور أن يكون الاتصال بالفنادق هو إحدى النواحى التى اتجه إليها نشاطهم . وهكذا أمكنهم أن يعلموا أن فندق (متروبول) هو الفندق الوحيد الذى قصد إليه فى

صباح ذلك اليوم رجلان وامرأة .

« * »

انتهى لوبين من تفكيره إلى هذا الحد . ورأى الخطر يحملق فى وجهه من عيون الشرطيين السريين ، ولكنه ظل على اعتقاده بأن الغنيمة التى فاز بها جديرة بهذا الخطر بل وبأكثر منه .

وقد لاحظ هوبى انصراف لوبين إلى التفكير . ورأى النظرات التى كان يختلسها فى المرآة . فأدرك طرفا من الحقيقة ، ولاحت منه التفاتة نحو الباب . فرأى الرجلين . وفهم رغم غباوته .

قال له لوبين بالانجليزية :

ـ أليس من العجيب أن يتأخر شقيقك حتى هذه اللحظة ؟ إننى تعبت من الانتظار . وما دام قد قال لك فى برقيته أن المسألة مسألة حياة أو موت ، فهو لا بد قد مات .

ففتح هوبى فمه فى دهشة . واوشك أن يسأل لوبين عن معنى هذا الخلط ولكن أحد الرجلين إقترب منهما فى تلك اللحظة . وسعل .

وسمع لوبين سعال البوليس السرى بالقرب منه . فحول رأسه ببطء ونظر إلى الرجل وزميله بقلة إكتراث كأنه يراهما لأول مرة .

قال الشرطى بالانجليزية :

ـ أرجو المعذرة ، إننى من رجال البوليس ، وألتمس معرفة المزيد عنكما .

وهنا شعر هوبى برغبة شديدة فى أن ينفجر ضاحكا .

ذلك أن اقتراب الشرطى نحوهما بخطوات رزينة ثابتة هى خطوات الرجل الواثق من نفسه ، كان يتعارض معارضه تامة مع لهجة الرجاء والتواضع التى تكلم بها .

أما لوبين ، فانه تناول مقعداً وجذبه نحوه ، وقال محدثا الشرطى فى لطف :

ـ تفضل بالجلوس ياعزيزى شرلوك هولمز ، وحدثنا عن متاعبك. ماذا حدث ، هل أعلنت الحرب وشرعتم فى التحقق من شخصيات الأجانب ؟

فتردد الشرطى ، ثم جلس فى حياء وخجل ، وحذا زميله حذوه ثم تبادلا نظرة شك وارتياب ، وشرع أحدهما فى توضيح الموقف فقال:

ـ إن المسألة ياسيدى تتصل بجريمة ارتكبت ليلة امس فى (اينزبروك) وقد قام لدينا الدليل على ان المجرمين وصلوا الى ميونخ ثم وجدنا من الآثار ما يدل علي انهم جاءو الى هذا الفندق. وقد ابرقت الينا ادارة البوليس فى (اينزبروك) بأوصافهم فارجو المعذرة ياسيدى ، ولكن الواقع ان التشابه .

فرفع لوبين حاجبيه فى دهشة وهلع وهتف :

ـ يا الهى ، هل تعنى ان فى نيتكم القاء القبض علينا ؟

وكانت حركاته واشاراته خالية من كل تصنع ، فهز الشرطى كتفية وقال :

ـ انى اصغيت الى حديثكما قبل ان أتقدم اليكما ، وكنت ارجو

ان اسمع منكما كلمة لها علاقة بحوادث اينزبروك ، ولكنى اعترف بان الجانب الذى سمعته من حديثكما كان بريئا ، اليس كذلك ؟

وقد نطق الشرطى بكلمتى (اليس كذلك) باللغة الألمانية ، وراح ينقل البصر بين لوبين وهوبي ، فى انتظار ان يسمع من احدهما جوابا على سؤاله ، وتأكيداً بان (الأمر كذلك) ؟!

ولكنه لم يسمع جواباً فقال :

ـ لقد علمتنى التجارب ان الشخص الذى يرتكب احدى الجرائم يقضى الايام التالية للجريمة فى التفكير فيها ، والتحدث عنها الى شركائه ، ولكن حديثكما لم يكن يمت بصلة الى جرائم الليلة الماضية . وبعد ، فانى سألتكما باللغة الالمانية عما اذا كان ما ذكرته صحيحا فلم اسمع جوابا ، وهذا يدل على انكما لاتفهمان اللغة الالمانية بعكس الاشقياء الذين نبحث عنهم .

فنظر لوبين الى محدثه باعجاب وقال :

ـ إنك رجل داهية ، والدهاء على كل حال من مستلزمات عملكم هل لكما فى قليل من الجعة ؟ نحن على استعداد لايضاح الموقف بقدر ما نستطيع.

وامر الخادم باحضار قدحين من الجعة .

وانتظر الشرطي الاول لحظة ، ثم سأل:

ـ هل اجد معكما جوازات السفر ؟؟

فاخرج لوبين من جيبه كتيبا ازرق ، ووضعه امامه على المائدة

وتحول الشرطي الى هوبي بريجز واوشك هذا ان يعتذر بضياع جواز سفره ، لولا انه شعر بأصابع لوبين تضغط على ركبته تحت غطاء المائدة ، فمد يده تحت المائدة بخفة ، وتناول من يد لوبين شيئا ثم تظاهر بأنه يبحث فى جيبه الخلفى ، وابرز الشيء الذي قدمه اليه لوبين ، فاذا هو جواز سفر.

لم يدر من أين جاء لوبين بهذا الجواز ، ولا ما هى المعلومات التى يتضمنها .

وعلى الرغم من غباوته ، فانه كان من الذكاء بحيث شعر بضرورة معرفة اسمه ، ومهنته .

فلما شرع الشرطي فى فحص جواز السفر ، اشرأب هوبي بعنقه ، وقرأ فى الصفحة الأولى مادله على ان اسمه جورج انجرام وصناعته مهندس .

اما الصورة الفوتوغرافية التى بالجواز فكانت صورته بغير شك.
وقد عرف فيها الصورة التى كانت ملصقة بجواز سفره الحقيقى.
نظر هوبي الى لوبين باعجاب ، وفكر فى ان لوبين قد قضى ساعة او اكثر من صباح ذلك اليوم فى معالجة جواز السفر ، والصاق الصورة الحقيقية على الجواز الزائف بطريقة لاتدع مجالا للشك فى صحة الجواز وما عليه من بصمات واختام .

(٥)

وفحص الشرطي جوازى السفر ، واقتنع بما جاء فيهما وردهما الى

صاحبيها ، وقال وهو يحنى رأسه باحترام :

ـ لقد اعتذرت لكما سلفا ، ولكن هل تتفضل يامستر انجرام فتذكر لى كيف قضيت وقتك امس واليوم؟

يزعم احد رجالنا انه رآك فى صباح اليوم بالقرب من محطة الشمال هذا فضلا عن آخر رآك وانت تدخل هذا الفندق.

وقد تذكرك كلاهما عندما اذيعت الأوصاف التى ابلغنا اياها بوليس (اينزبروك) .

يضاف الى ذلك اننا عثرنا بالقرب من محطة الشمال كذلك على السيارة التى فر بها الاشقياء .

فأجاب هوبي فى هدوء وبساطة :

ـ اظن أن فى استطاعتى ان اقدم حسابا عن حركاتى وسكناتى . انى قضيت امس بضع ساعات فى الاستمتاع بالمناظر الطبيعية فى هذه البلاد ووصلت ليلا إلى (سيجربرون) .

بيد انى ماكدت اتناول طعام العشاء فى (سيجربرون) حتى جاءنى برقية من شقيقى يطلب إلى فيها أن أقابله فى ميونيخ صباح اليوم ، وقد ذكر فى برقيته ان المسألة حياة او موت ، ولذلك فانى اسرعت الى ميونيخ بأول قطار ، وقصدت الى هنا توا .

فهتف الشرطي :

ـ شقيقك ؟ !

وظهرت علي وجه الشرطي علامات الاهتمام فجأة . فاطرق هوبي

برأسه وأجاب :

ـ نعم .. ونحن توامان .

ـ ياإلهي .. وفى اى مكان اتفقتما على اللقاء ؟!

ـ انه ضرب لى موعـدا هنا فى الساعة العاشرة صباحا ، وها قد انتصف النهار ولم يحضر .

ـ هل اجد معك هذه البرقية ؟!

ـ كلا اننى لم احتفظ بها .. ولـكن ..

ـ ومن اين وردت البرقية ؟!

ـ من مدينة ينباخ .

وكان هوبي قد بدأ يبرم بهذا السيل من الاسئلة .. فوجد سبيلا للانفجار وصاح :

ـ ياللشيطان هل تريدان تزعم ان اخى هو احد الاشقياء الذين يبحث عنهم البوليس ؟

فهز الشرطى كتفيه . وعلت وجهه مسحة من الصلابة .. وقال فى غلظة :

ـ ذلك محتمل .. فاوصافك تنطبق على الأوصاف التى تلقيناها ، ولابد ان شقيقك يشبهك ..

وفضلا عن ذلك فانك تلقيت البرقية من (ينباخ) .. (وينباخ) هى المدينة التى شوهد عندها الاشقياء لآخر مرة ، ومن المؤكـد ان المسألة بالنسبة إلى هؤلاء الاشقياء ، هى مسالة موت أوحياة ، كما ذكر

اخوك فى برقيته :

وساد عقب ذلك صمت عميق ، اقبل الخادم فى خلاله حاملا اقداح الجعة ، فدفع لوبين الحساب ، وقدم الجعة الى الشرطيين وقال وهو ينظر الى هوبي :

ـ إذا صح ذلك كان الأمر خطيرا .

ثم التفت الي الشرطى وسأله :

ـ هل انت واثق من انك لم تخطىء ؟!

فأجاب الشرطى :

ـ سوف تظهر الحقيقة على كل حال ، على أنه من الغريب حقا ألا يحضر شقيق مستر انجرام حتى هذه اللحظة .

فأشعل لوبين لفافة تبغ ، وراح يرقب الشرطيين بعينين كعينى الصقر .

لم تتحرك عضلة واحدة فى وجهه . وكان جماع منظره يدل على قلة الاكتراث ، بيد ان احدى يديه كانت فى الواقع اقرب ما تكون الى الجيب الذى وضع فيه مسدسه .

قال فجأة :

ـ هذا عجيب حقا !

فنظر اليه الشرطى الذى انفرد بالقاء الاسئلة حتى تلك اللحظة وقال :

ـ هل كنت ترافق مستر انجرام فى رحلاته ؟

- نعم .
وتناول قدح الجعة ورفعه الى فمه بيد ثابتة كأنها قطعة من الصخر . وذلك رغم شعوره بأن ريبة الشرطى قد ثارت إلى اقصى حد .
سأله الشرطى :
- وهل جئتما معا من (سيجربرون) ؟
فقال لوبين دون أن يحول عينيه عن عينى الشرطى ودون أن يتحرك له هدب :
- فلنشرب نخب صحتكما .
ورفع قدح الجعة ، فتبادل الشرطيان نظرة سريعة . . . ثم حذوا حذوه .
وشعر لوبين بما يدور بخلدهما .
شعر بأن الخدعة قد افتضحت ، وبأن الشرطيين يفكران فى طريقة للسيطرة على الموقف .
وضع لوبين قدحه ، ونظر طويلا إلى لفافة التبغ التى بين أصابعه .
كان بوده فى تلك اللحظة أن ينفجر ضاحكا .
قال بهدوء محدثا الشرطى :
- كلا يا أخى ، أننا لم نذهب قط إلى (سيجربرون) .. ولكننا قضينا فى (اينزبروك) وقتا لن نندم عليه .
ونظر إلى الشرطيين بلطف . . ورأى حدقات عيونهما تجول فى محاجرها .

إستطرد :
- لقد كان من دواعى سرورنا أن نجتمع بكما ، وكل رجائنا ألا تعلم السلطات ذات الشأن بانكما إحتسيتما قدحين من الجعة على حسابنا قبل أن تلقيا القبض علينا .
وهنا تحرك احد الرجلين فى مقعده وهم بالنهوض . .
ولكن لوبين أسرع اليه ، فشد على يده كأنه يودعه ، وضغط على كتفه بقوة فترنح الشرطى فى مكانه ، ثم هبط على المقعد ، وسقط رأسه فوق صدره .
والتفت لوبين إلى الشرطى الآخر ، فوجد رأسه يميل نحو المائدة . ويوشك أن يصطدم بها ، فمد يده ورفع رأسه ، وأسند ظهره إلى المقعد لكيلا يسقط إلى الأمام .

« . »

ومن حسن الحظ أن الغرفة كانت خالية من أى إنسان آخر . سواهم ، فانصرف لوبين وهربى فى سكون وبقلة إكتراث كأن شيئاً لم يحدث .

.

وما كاد الاثنان يخرجان من الغرفة ، حتى حانت من لوبين التفاتة فرأى بالقرب من الباب الخارجى للفندق رجلا يتحدث إلى كبير الخدم
وكان الرجل يتحدث باهتمام ، ويشير بيده النحيلة .
وقد رأى لوبين ظهر الرجل ، ورأى يده ، وعرفه .

الفصل السادس

تفاهم

رأى لوبين ظهر الرجل وعرفه ، وكان هوبي يسير بجانبه وهو يوسع الخطى كأنه يخشى الطاعون ، فأمسك لوبين بساعده وقال له في همس :

– سر في بطء وهدوء ، واقصد توا إلى غرفة باتريشيا . واهرب معها عن طريق سلم الحريق . إن لك خبرة خاصة في إستخدام سلم الحريق . . وسألحق بكما في المحطة . إن القطار يتحرك بعد ربع ساعة . فالى اللقاء . .

فدهش هوبي . . ولكنه لزم الصمت .

كان كل همه أن ينجو بجلده .

قصد إلي سلم الفندق ، وراح يرقاه ببطء وهدوء كما أوصاه لوبين ولما بلغ إلى القمة .. نظر إلى أسفل ، فرأى لوبين يسير بقلة إكتراث بالقرب من الرجل الذي كان يتحدث إلى كبير الخدم .

***

وقف لوبين أمام ذلك الرجل فجأة . وهتف كأنه لم يره إلا في تلك اللحظة :

– أنت هنا ؟

فتحول الرجل ببطء وسكون . ورأى لوبين وعرفه . ولم يظهر على وجهه اي اثر من آثار الدهشة أو الانفعال.

قال :

– اهذا انت ايها العزيز .

فدس لوبين يده في جيبه . وسأل :

– هل تقيم هنا ياعزيزي رودلف؟

فاجاب الأرشيدوق وهو يدخن في هدوء :

– لقد كنت أبحث عن أحد أصدقائي .

فنظر اليه لوبين في تهكم .

كان الحديث الذي دار بينه وبين الشرطيين اللذين صرعهما في غرفة الطعام قد دله على أشياء مثيرة . واشعره بأن الأرشيدوق يجد في أثره ولكنه لم يكن يتوقع أن يقابله بمثل هذه السرعة .

كان حديث الشرطيين يتضمن معلومات ليس في الامكان الحصول عليها إلا من الارشيدوق نفسه . ومن هذه المعلومات حادث وجوده مع زميله على مقربة من مدينة « يفباخ» .

ونظر لوبين الارشيدوق من قمة رأسه إلى اخمص قدميه . وتساءل ترى ما هي الخطة الجديدة التي وضعها هذا الشاب الداهية . وماذا تخفي إبتسامته الساحرة . وتقاطيعه الهادئة .

سأله لوبين :

– هل لك أصدقاء على الاطلاق لكي تبحث عن واحد منهم ؟!

فضحك الأرشيدوق . وتأبط ساعد لوبين بلطف وقال :

– هنا ركن نستطيع أن نخلو فيه الي أنفسنا ونتحدث بحرية

وصراحة . حول أشياء قد تهمك .

وقصد به إلى غرفة خاصة بالزائرين . فلم يعارضه لوبين ولكنه ألقى نظرة سريعة على قمة السلم . ورأى هوبي يختفى .

ووقع بصره ضمنا على ساعة مثبتة بالجدار . وانطبع فى ذهنه موضع العقربين .

إنقضت دقيقتان منذ فقد الشرطيان الرشد بتأثير المخدر الذى وضعه فى قدحيهما خلسة . وبعد ست دقائق أخرى يفيق الشرطيان من من نومهما . هذا إذا لم يكتشف الخادم أمرهما . وينعشهما قبل ذلك .

وإذن لم يبق أمامه أكثر من ست دقائق . للتحدث إلى الأرشيدوق ومحاولة الوقوف على شىء من تدابيره الجهنمية .

على انه أدرك فى اللحظة التالية أن الأرشيدوق لم يصطحبه بدوره إلا للوقوف على أشياء يهمه أن يعرفها . لأنه شعر فجأة بأصابع الارشيدوق تعبث فى جيبه .

فهم أنه يبحث عن المجوهرات . فارتمى على أول مقعد صادفه فى غرفة الانتظار . وقال وهو يضحك :

ـ لم أكن أعلم إنك بحاجة الى الالتجاء الى وسائل النشل . ألا تخشى أن اصرخ مستغيثا .

فجلس الأرشيدوق وقال وهو يضع ساقا على ساق :

ـ يجب أن تساعدنى على الانتهاء بأسرع ما يمكن . فوقتك ثمين بغير شك .

فسأله لوبين فى خشونة :

ـ هل عندك حقا حديث جدى هام تريد أن تفضى الى به ؟

فنظر اليه الارشيدوق طويلا ثم قال :

ـ هذه ثالث مرة تتدخل فيها فى شئوني الخاصة يامسيو لوبين وقد قلت لك قبل الآن أن أصرارك قد يرغمنى على الالتجاء الى وسائل عنيفة ربما تكون نتيجتها شل حركتك الى الأبد . وهأنذا انذرك للمرة الاخيرة بان عنادك هذا سيضطرني ان اتخذ ضدك اجراءات لا يرضاها ضميرى فى الظروف العادية .

فقال لوبين :

ـ ومن أمثلة هذه الاجراءات أن تكلف اثنين من رجال البوليس السرى بالفتك بى . أليس كذلك ؟ أن وسائلك الساذجة قد خيبت أملى فيك يا عزيزى الأرشيدوق .

ـ إذا كنت قد أطلقت فى أثرك اثنين من رجال البوليس السرى فما ذلك إلا نزولا على أحكام الضرورة . . لأن رجال البوليس يملكون من وسائل البحث والتسهيلات ما لا يملك الأشخاص العاديون أمثالنا .

فابتسم لوبين وقال :

ـ إن اهتمامك الشخصى بالغنيمة التى طارت من يدك أمر له مغزاه ، وإنى لأعجب ، ماذا يكون من أمرك لو أننى تمكنت من الفرار بالغنيمة واستحال عليك أن تراها بعد الآن .

فقال الأرشيدوق بهدوء :

ـ إصغ إلى يا لوبين . . إننى أحسب حسابا لكل شىء . . وهو ما لا تفعله أنت ، بدليل أنك نسيت أننى رجل له شخصيته البارزة فى كل مكان يحل فيه . . وأن إشارة واحدة من إصبعى وكلمة واحدة أنطق بها . . تكفى لأن تطلق فى أثرك جيوشا من رجال البوليس فى أى بلد تنزل فيه .

وصمت الأرشيدوق فى لحظة ثم أردف :

ـ إنك كمية مهملة . . ولكنها مزعجة .

فقال لوبين :

ـ عهدى بك أنك تستطيع أن تأمر وتنهى .

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ لماذا لا تدعو رجلا واحداً من رجال البوليس . عوضا عن جيوش البوليس التى تهدد بها ؟ ان فى (ميونيخ) كثيرين من رجال الشرطة . . فلماذا لا تأمر واحداً أو اثنين منهم بالقاء القبض على ؟ ! لماذا لا تعهد بالأمر إلى رجال البوليس فى صراحة . . وتوفر على نفسك عناء السهر والسفر . والقلق والنضال ؟!

ففكر الأرشيدوق قليلا ثم قال :

ـ إنى لا أرى فائدة من ذلك الآن . سيما وأن المجوهرات لم تعد فى حوزتك .

وهنا اعتدل لوبين فى مكانه .

كان هذا النبأ جديداً عليه !!

هتف :

ـ أتقول الحق ؟! ولكننى لم أر احدا يخرج من الفندق محمولا على الأعناق . إننى تركت فى غرفتى فتاة إذا نامت اغمضت عينا واحدة . وإذا صوبت المسدس . أصابت الهدف وهى مغمضة العينين ، وقد أصدرت

الأوامر إلى نتائى هذه بان تطلق الرصاص على أى كائن من كان يحاول تفتيش غرفتى. فابتسم الأرشيدوق وقال :

- إذن فى هذه الحالة يجب أن نشكر كبير الخدم على أنه رجل يقظ قوى الذاكرة. - ماذا تعنى ؟

- أنك انصرفت من الفندق فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم. وكانت فى يدك حزمة صغيرة. ولكنك عدت بدون هذه الحزمة.

فنظر لوبين إلى الأرشيدوق بحدة، وتذكر أنه فاجأه وهو يتحدث إلى كبير الخدم.. وتخيل الحديث الذى لابد قد دار بينهما، والطريقة التى استطاع بها الأرشيدوق أن يستدرج كبير الخدم إلى ذكر ما عنده.

لم يكن أيسر للارشيدوق من ان يزعم بأن صديقا له وعده بأن يبعث إليه بطرد صغير ثمين.. وبأن من المهم جدا أن يرسل هذا الطرد قبل الظهر. وأن يسأل كبير الخدم عما إذا كان هذا الطرد قد أرسل فعلا أو لم يرسل. لأن صديقه سريع النسيان. أو عما إذا كان قد رأى أحداً يحمل طردا صغيراً.

ويتذكر كبير الخدم أنه رأى احد نزلاء الفندق منصرفا ومعه طرد صغير. فيشكره الأرشيدوق. ويقدم له ورقة مالية.

* * *

رأى لوبين كل ذلك بعين الخيال. وفهم أن الأرشيدوق يدبر أمرا فاستعد بدوره للمعركة الأخيرة وتحفز للنضال كما يتحفز النمر للفتك بفريسته.
